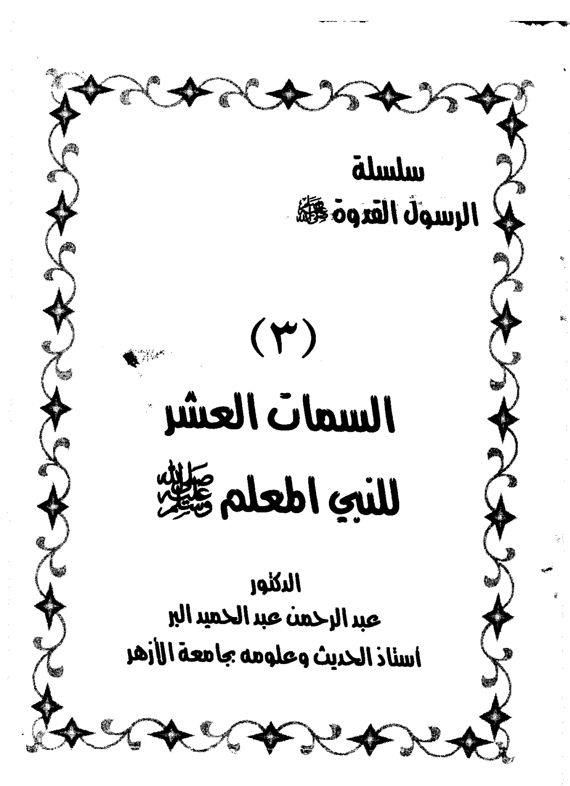


سلسلة
الرسول القدوة ﷺ

(٣)

# السمات العشر للنبي المعلم ﷺ

الدكتور
عبد الرحمن عبد الحميد البر
أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر

السمات العشر للنبي المعلم (ص)
د/ عبد الرحمن عبد الحميد البر
شركة منارات للإنتاج الفني والدراسات
٢٠٠٧/١٢/٣
رقم الإيداع ٢٥٥١٤ / ٢٠٠٧
الترقيم الدولي 2- 04- 6252- 977- 978

## السمات العشر للنبي المعلم ﷺ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه واهتدى بهداه.

اللهم اجعل عملنا كله صالحاً خالصاً مُتَقَبَّلاً، ولا تجعل للشيطان فيه حظاً ولا نصيباً، ووفقنا لما تحب وترضى، وارزقنا خير الآخرة والأولى.

وبعد؛ فإن البشرية لم تَرَ في تاريخها الطويل معلماً أتقن فنونَ التعليم وأجاد في تطبيقها وتربية تلاميذه عليها مثل محمد ﷺ، فقد كان صاحب منهج علمي تربوي متميز، واتته طبيعةٌ شخصيةٌ جُبلت على أكمل الخلال وأنبل الخصال التي تجعل المتلقي منه والمتعلم على يديه يُسلم إليه قلبه وعقله وروحه ونفسه يملأها حكمة وعلما وإيمانا، ثم صقله الوحي الكريم بالمعارف القدسية والأنوار الإلهية، والأدب الكامل، فغدا لا ينطق إلا عنه، ولا يقبس إلا منه **﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾** فأظهر للدنيا من فنون التربية والتعليم والتوجيه ما لم تكن تعلم، وما لم تصل إلى بعض صوره إلا في عصورها المتأخرة.

ولم لا؟ والأصل في رسالته أنه جاء معلما، فقد قَالَ ﷺ:

«...وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا»(١).

ولذلك كانت حياته كلها من أولها إلى آخرها مدرسة مفتوحة مارس فيها كل أنواع التعليم والتوجيه في كل المجالات ولكل أصناف الناس، ومستويات الخلق، حتى إنه ليمكن تصنيف السنة كلها تحت أبواب التعليم النبوي، فقد كان يعلمهم أفرادا وجماعات، ذكورا وإناثا، صغارا وكبارا، في المساجد والطرقات وميادين الجهاد والعمل وفي المناسبات والأحداث المتنوعة.

وفي هذه الرسالة نتعرض لأهم السمات الأساسية لمنهجه الكريم في التعليم، حتى تكون الأمة- وعلى الأخص معلِّموها- على بيِّنة من هذا المنهج العظيم، فيتأثَّرونه في مناهجهم ووسائلهم، ليحققوا الاقتداء به ﷺ من جهة، والمصلحة العامة للمتعلمين من جهة أخرى.

وسترى كيف راعى النبيُّ الكريمُ والمعلمُ الأعظمُ ﷺ في تعليمه وتوجيهه المبادئَ والوسائلَ التربويةَ التي تعين على حسن التلقي، وتؤدِّي إلى استقرار العلم في نفوس وأفئدة الصحابة

---

(١)جزء من حديث عبد الله بن عمرو، أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١/ ٨٤٣(٢٢٩) وغيره وفي إسناده ضعف

الكرام رضوان الله عليهم.

وسنكتفي بعشر سمات أساسية لهذا المنهج النبوي على النحو التالي:

**١ - معلمٌ والدٌ محبٌ:**

فقد كان ﷺ لأمته بمثابة الوالد الناصح الذي يرجو لهم الخير ويحرص على تعليمهم إياه وتوجيههم إليه، ويقول لهم هذا، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ»(١).

ومن ثم فقد كان ﷺ لطيف الخطاب رقيق العبارات في التعليم، يستخدم لفظ الأبوة، ويشير إلى هذه العاطفة؛ فإن ذلك مما يؤلف القلوب، ويستميلها إلى الحق، ويدفع المتعلمين إلى الوعي والتطبيق، كما فعل ﷺ مع ربيبه عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه حين أخذ في تعليمه آداب الأكل، فقال: **«اجْلِسْ يَا بُنَيَّ، وَسَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»** (٢).

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الطهارة باب: كراهية استقبال سننه القبلة عند قضاء الحاجه ١/ ٣ (٨) وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه أبو بكر الشافعي في "الغيلانيات" ٢/ ٣٧٥ (٩٣٦) بسند حسنٍ. وأصل الحديث

وكان يستخدم لفظ الأخوة أحيانا، كما فعل مع عمر ﷺ حين استأذن النبيَّ ﷺ في العمرة، فأذِن له، وقال: «**لاَ تَنْسَنَا مِنْ دُعَائِكَ يَا أَخِي**»[1].

وربما صرح بلفظ الحب للمتعلم كما فعل ﷺ مع مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ حين أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**» فَقَالَ: «**أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللهمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»[2].

وكذلك كان ﷺ يدعو للمتعلم ويحنو عليه كما هو شأن الوالد مع ولده، حتى يقبل بقلب الولد على الدرس، ويعينه على الحفظ والفهم، ومن ذلك حديث ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: ضَمَّنِي إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «**اللهمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ**»[3].

---

أخرجه البخاري في كتاب: الأطعمة، باب: التسمية على الطعام والأكل باليمين ٩/ ٥٢١ (٥٣٧٦)، ومسلم في كتاب: الأشربة، باب، آداب الطعام والشراب وأحكامهما ٣/ ١٥٩٩ (٢٠٢٢).

(١) أخرجه السمعانى في أدب الإملاء والاستملاء ص ٣٦.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: في الاستغفار ٢/ ٨٦(١٥٢٢)، وصححه ابن خزيمة (٧٥١)، وابن حبان (٢٠٢٠).

(٣) أخرجه البخاري في الاعتصام ١٣ / ٢٤٥ (٧٢٧٠).

وربما ربت على كتف المتعلم عند التعليم للتأنيس والتنبيه، و ذلك مما لا يفعله المعلم إلا بمن يميل إليه من ولد وحبيب، ومن ذلك ما فعله ﷺ مع عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ ﷺ حين أَخَذَ بِمَنْكِبِيه فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»[١] .

**٢ - معلم مربي:**

وقد نالت التربية من المنهج النبوي الكريم في التعليم الحظ الأوفر والنصيب الأكبر، بل التربية والتزكية في هذا المنهاج العظيم تسبق التعليم، وقد وصفه الله تعالى بذلك في قوله تعالى ﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ (آل عمران١٦٤) وهاك نماذج من سلوك المربي الأكرم ﷺ مع طلاب العلم:

**أ- الترحيب بالطالب وتشجيعه على طلب العلم:** كما فعل مع صفوان بن عسَّال المرادي ﷺ ، قال: أَتَيْتُ رَسولَ الله ﷺ أَسْأَلُهُ عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنِ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: قول النبي ﷺ (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) ١١/ ٢٣٣ (٦٤١٦)

الْعِلْمِ، قَالَ: «**إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًى بِمَا يَطْلُبُ**» الحديث(١).

وفي رواية قال: أَتَيْتُ رَسولَ الله ﷺ وَهُوَ مُتَّكِئٌ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى بُرْدٍ لَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي جِئْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ، فَقَالَ: «**مَرْحَبًا بطالبِ الْعِلْمِ، إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ لَتَحُفُّهُ الْمَلَائِكَةُ وَتُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُها بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغُوا السَّمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ حُبِّهِمْ لِمَا يَطْلُبُ**» (٢).

ولا ريب أن هذا الترحيب والتشجيع حفز الكثيرين علي الرحلة في طلب العلم وفي نشره، ومن ثم تخلقوا بهذا الخلق وهم يعلمون طلاب العلم من بعدهم، وعملوا بوصية النبي ﷺ إياهم بطلاب العلم، كما فعل صَفْوَانُ بْنَ عَسَّالٍ الْمُرَادِيُّ مع زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ حين ذكر له أنه جاء يسْأَلُهُ ابْتِغَاءَ الْعِلْمِ،

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٨/ ٦٣(٧٣٦٣) بإسنادٍ حسن، وقال الهيثمي في المجمع ١/ ١٣١: "رجاله رجال الصحيح "، وصححه ابن حبان (١٣١٩). وله طرق كثيرة مرفوعا وموقوفا.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٨/ ٦٣ - ٦٤ (٧٣٤٧، ٧٣٤٩)، وقال الهيثمي في المجمع ١/ ١٣١: "رجاله رجال الصحيح"، وصححه ابن حبان (١٣١٩، ١٣٢١، ١٣٢٥).

فقال: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ(١).

وكما كان يفعل أبو سعيد الخدري ﷺ، إذا رأى الشباب قال: «مرحبا بوصية رسول الله ﷺ أُمِرْنا أن نُحَفِّظكم الحديث، ونُوَسِّع لكم في المجالس»(٢)

وكان ابن مسعود ﷺ إذا رأى الشباب يطلبون العلم قال: «مرحبا بكم ينابيع الحكمة ومصابيح الظلمة، خُلْقان الثياب (يلبسون البالي منه) جدد القلوب» (٣).

**ب- تشجيع المحسن من الطلاب والثناء عليه:** ليزداد نشاطا وإقبالاً على العلم والعمل، مثلما فعل ﷺ مع أَبِي هُرَيْرَةَ الذي قَالَ: يَا رَسُولَ الله مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ**

---

(١) أخرجه الترمذي-وقال: حسن صحيح- في كتاب: الدعوات، بَاب: فِي فَضْلِ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ ٥/ ٥١٠(٣٥٣٦)

(٢) أخرجه الرامهرمزي في المحدِّث الفاصل ص ١٧٥ (٢١، ٢٠)، وابن أبي حاتم في مقدمة الجرح والتعديل ٢/ ١٢، وصححه الحاكم على شرط مسلم ١/ ٨٨ وقال: لا أعلم له علة، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٧١ (١٧٢٩).

**أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ! أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»**[١].

**ح - الاكتفاء بالتعريض فيما يُذَم وعدم التصريح به:** لما في ذلك من مراعاة شعور المخطئ وعدم إحراجه، والتأكيد على عموم التوجيه، وهو أمر يشرح صدر المتعلم ويعينه على قبول العلم.

من ذلك: ما حدث مع عبد الله بن اللُّتْبِيَّة، حين استعمله النبي ﷺ على صدقات بني سليم، فقبل الهدايا من المتصدقين، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا.** ثُمَّ خَطَبَ النَّاسَ، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي الله فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي. أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ!..**» الحديث[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار ١١/ ٤٨١ (٦٥٧٠)، وفي كتاب العلم، باب: الحرص على الحديث ١/ ١٩٣ (٩٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الحيل، باب: احتيال العامل ليهدى له ١٢/ ٣٤٨ (٦٩٧٩)وفي مواضع أخرى، ومسلم في كتاب الإمارة، باب: تحريم هدايا العمال

**د – تفويض العلم إلى الله فيما لا علم له به:** وذلك ليعوِّد أصحابه والأمة عدم الجرأة على القول بغير علم أو التعجل في الفتوى من غير يقين، وقد أورد البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، بَاباً بعنوان: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسْأَلُ مِمَّا لَمْ يُنْزَلْ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فيَقُولُ لَا أَدْرِي، أَوْ لَمْ يُجِبْ حَتَّى يُنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ وَلَمْ يَقُلْ بِرَأْيٍ وَلَا بِقِيَاسٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى﴿بِمَا أَرَاكَ اللهُ﴾، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺعَنْ الرُّوحِ فَسَكَتَ حَتَّى نَزَلَتْ الْآيَةُ[1].

ومما فعله المعلم الأعظم ﷺ في هذا: ما رواه جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَيُّ الْبُلْدَانِ شَرٌّ؟ قَالَ: فَقَالَ: **«لَا أَدْرِي»**. **فَلَمَّا أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام قَالَ: «يَا جِبْرِيلُ أَيُّ الْبُلْدَانِ شَرٌّ؟قَالَ: لَا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ. فَانْطَلَقَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَمْكُثَ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ سَأَلْتَنِي أَيُّ الْبُلْدَانِ شَرٌّ فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَيُّ الْبُلْدَانِ شَرٌّ؟ فَقَالَ: أَسْوَاقُهَا»** [2].

---

١٣/ ٤٦٣ (١٨٣٢).

(١) البخاري ١٣/ ٢٩٠.

(٢) أخرجه أحمد (١٦٧٤٤)، وذكر الهيثمي في المجمع ٤/ ٧٦ أن رجاله رجال الصحيح خلا

ولا ريب أن تفويض العلم إلى الله فيما لا علم للإنسان به هو من كمال الفتوة والأدب وتمام الورع، وقد تربى الصحابة ﷺ على ذلك، وأوصوا به، فكان علي بن أبي طالب ﷺ يقول: «وابْرَدَها على الكبد (في رواية: ثلاث مرات) إذا سئلتُ عما لا أعلم أن أقول: لا أعلم» (١).

وعن ابن عمر ﷺ أن رجلاً سأله عن مسألة، فقال: لا علم لي بها. فلما أدبر الرجل قال: نعم ما قال ابنُ عمر، سئل عما لا يعلم، فقال: لا علم لي به (٢).

وقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: مَنْ عَلِمَ فَلْيَقُلْ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلِ الله أَعْلَمُ؛ فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ: لَا أَعْلَمُ؛ فَإِنَّ الله قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾. (٣)

---

عبد الله بن محمد بن عقيل وهو حسن الحديث وفيه كلام.

(١) أخرجه الدارمي منْ طرق في المقدمة، باب: في الذي يفتي الناس في كل ما يُسْتَفْتى ١/ ٧٤(١٧٥).

(٢) أخرجه الدارمي في الموضع السابق (١٧٩) بسند صحيح، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ٢/ ٨٣٥ (١٥٦٥)، والخطيب في الفقيه والمتفقه ٢/ ١٧٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب: سورة الروم ٨/ ٥١١(٤٧٧٤)وفي مواضع أخرى، ومسلم في كتاب: صفات المنافقين باب: الدخان ٤/ ٢١٥٥-٢١٥٨(٢٧٩٨).

**٣ – معلم ميسر رفيق:**

أول أصول الدعوة والتعليم: هو الرفق والتبشير والتيسير، ولا ريب أن التيسير مفتاح القلوب الغليظة والمغلقة، وسبيل كسب الأفئدة إلى الحق، واستمالتها إلى الهدى. وقد كان ذلك دأبَ نبي الهدى ﷺ الذي يقول: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**»[1]

وفي رواية: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**»[2]

ويقول: «**مَنْ يُحْرَمْ الرِّفْقَ يُحْرَمْ الْخَيْرَ**»[3]

وربما احتاج أحد الوافدين إلى تعليم من نوع خاصٍ، فيتواضع له النبي ﷺ ويترفق به، ويتغاضى عن عدم إحسانه المسألة، أو اختياره التوقيت المناسب، حتى إنه ليترك الخطبة أحيانا،

---

(١) أخرجه البخاري عن عائشة في كتاب اسْتِتَابَةِ الْمُرْتَدِّينَ وَالْمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ باب إِذَا عَرَّضَ الذِّمِّيُّ وَغَيْرُهُ بِسَبِّ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يُصَرِّحْ ١٢/ ٢٨٠ (٦٩٢٧).

(٢) أخرجه مسلم عن عائشة في كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَاب فَضْلِ الرِّفْقِ ٤/ ٢٠٠٤ (٢٥٩٣).

(٣) أخرجه مسلم عن جرير في الموضع السابق (٢٥٩٢).

ويقبل علي الغريب ليعلِّمه، ثم يعود ليتم خطبته، كما حصل مع أبي رفاعة العدوى ﷺ الذي قال: انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ. قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا، قَالَ: فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ الله، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا(١).

وكان ﷺ يقدِّر ظروف المتعلمين، ويراعي أحوالهم، ويعذرهم بجهلهم، ويتلطّف في تصحيح أخطائهم، ويترفَّق في تعليمهم الصواب، مما يملأ قلب المتعلم حبّا للرسالة وصاحبها، كما حدث مع الأعرابي الذي بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ (أي صاحوا به) فَقَالَ لَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ: **«دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنُوبًا(أي دلوا) مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»**(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الجمعة، باب: حديث التعليم في الخطبة ٢/ ٥٩٧ (٨٧٦/ ٦٠)، والبخاري في الأدب المفرد، باب: الجلوس علي السرير صـ٣٤٠ (١١٦٤.

(٢) الحديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري في كتاب: الوضوء، باب: صب الماء على البول في المسجد ١/ ٣٢٣ (٢٢٠) وغيره.

وقد روى أنس بن مالك هذه القصة، وفي بعض رواياته: ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «**إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ**»، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ.(١)

وانظر أي أثر كريم يفعله هذا الخلق العظيم في نفس المتعلم وأنت تسمع لما رواه مُعَاوِيَةُ بْنُ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ ﷺ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسولِ الله ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ! فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ: وَا ثُكْلَ أُمِّيَاهْ! مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلوا يَضْرِبونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسولُ الله ﷺ **فَبِأَبِي هوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ**، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ**»... الحديث(٢)

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الطهارة، باب ة وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد ١/ ٢٣٦- ٢٣٧ (٢٨٥).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: المساجد، باب: تحريم الكلام في ١/ ٣٨١ (٥٣٧).

وفي رواية: لَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلِمْتُ أُمورًا مِنْ أُمورِ الْإِسْلَامِ، فَكَانَ فِيمَا عَلِمْتُ أَنْ قِيلَ لِي: إِذَا عَطَسْتَ فَاحْمَدْ الله، وَإِذَا عَطَسَ الْعَاطِسُ فَحَمِدَ الله فَقُلْ يَرْحَمُكَ الله. قَالَ: فَبَيْنَمَا أَنَا قَائِمٌ مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺ فِي الصَّلَاةِ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ فَحَمِدَ الله، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ الله -رَافِعًا بِهَا صَوْتِي- فَرَمَانِي النَّاسُ بِأَبْصَارِهِمْ حَتَّى احْتَمَلَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: مَا لَكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ بِأَعْيُنٍ شُزْرٍ(أي بغضب) قَالَ: فَسَبَّحُوا، فَلَمَّا قَضَى رَسولُ الله ﷺ الصلاة قَالَ: «مَنْ الْمتَكَلِّمُ؟» قِيلَ: هَذَا الْأَعْرَابِيُّ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ لِي: «**إِنَّمَا الصَّلَاةُ لِقِرَاءَةِ الْقرْآنِ وَذِكْرِ الله جَلَّ وَعَزَّ فَإِذَا كُنْتَ فِيهَا فَلْيَكُنْ ذَلِكَ شَأْنَكَ**» فَمَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَطُّ أَرْفَقَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ(١)

وقد ربَّى النبي ﷺ أصحابه الكرام على التزام التيسير وترك التعسير حينما كان يوجههم إلى تعليم الناس كما في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كَانَ رَسولُ اللهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ: «بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: تشميت العاطس في الصلاة ١/ ٢٤٥(٥٣١).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، بَاب فِي الْأَمْرِ بِالتَّيْسِيرِ وَتَرْكِ التَّنْفِيرِ ٣/ ١٣٥٨ (١٧٣٢).

وقد كان هذا توجيهه ﷺ لكل معلِّم، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عَلِّمُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ». وفي بعض الروايات أنه قال ذلك ثلاثا[١].

**٤ - معلم صبور لا يغضب إلا توجيها وتعليما:**

كان شأنه ﷺ الحكمة والرفق، وعدم الغضب لنفسه أو الانتصار لها، والصبر على جفوة المتعلم -وبخاصة الغريب- في منطقه والرفق بالسائل وإن كان جافيا في كلامه، أو مسيئا في طريقة عرض السؤال؛ ففي حديث علي بن أبي طالب ﷺ عن سيرته ﷺ في جلسائه قال: ويصبر للغريب على الجَفْوة من منطقه ومسألته، حتى إنْ كان أصحابه ليستجلبونهم...[٢].

ومن ذلك أنه ربما سأله السائل، وهو ﷺ منشغلٌ بحديث آخر، ولم يراع السائل أدب السؤال في مراعاة الحال، فلا يزجره ﷺ

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٣٦،٣٤٤٨)، والبخاري في الأدب المفرد، باب: العفو والصفح عن الناس (٢٤٥) وباب: يسكت إذا غضب (١٣٢٠)، والبزار(كشف الأستار) (١٥٢، ١٥٣) ويشهد له ما قبله.

(٢) أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية، باب:ما جاء في خلق رسول الله ﷺ ص٢٢١(٣٣٥).

ولا يعنفه، بل يكتفي بالإعراض عنه، وتأخير الجواب على سؤاله، ثم يرفق به، فيجيبه بعد أن ينتهي من حديثه، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ الله ﷺ يُحَدِّثُ (يعني أكمل حديثه ولم يرد على الرجل)، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ، فَكَرِهَ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ. حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: **«أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنْ السَّاعَةِ؟ »** قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ الله. قَالَ: **«فَإِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ»**. قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: **إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ»**(١).

قال ابن حجر: «محصِّله: التنبيه على أدب العالم والمتعلم. أما العالم: فلما تضمنه من ترك زجر السائل، بل أدّبه بالإعراض عنه أولاً، حتى استوفي ما كان فيه، ثم رجع إلى جوابه، فرفق به؟ لأنه من الأعراب وهم جفاة، وفيه العناية بجواب سؤال السائل ولو لم يكن السؤال متعينا ولا الجواب.

وأما المتعلم: فلما تضمنه من أدب السائل أن لا يسأل العالم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من سئل علما وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل ١/ ١٤١-١٤٢ (٥٩)ومواضع أخرى.

وهو مشتغل بغيره؟ لأن حق الأول مقدم»[(١)]

ولا شك أن هذا الخُلُقَ منه ﷺ يشرح صدور المتعلمين، ويكون أعون لهم على فهم وحفظ ما يصدر عنه ﷺ وتطبيقه.

**متى وكيف ولماذا يغضب؟:**

لا يعني هذا أنه ﷺ لم يكن يغضب أبداً من المتعلم المسيء، بل كان يظهر الغضب متى كان لذلك دواع مهمة، وذلك كأن يحدث خطأٌ شرعيٌّ من أشخاص لهم حيثية خاصة، أو تجاوز الخطأ حدود الفردية والجزئية، وأخذ يمثل بداية فتنة أو انحراف عن المنهج، على أن هذا الغضب عندئذ يكون غضبا توجيهيا، من غير إسفافٍ ولا إسراف، بل على قدر الحاجة.

من ذلك : غضبه ﷺ حين أتاه عمر ومعه نسخة من التوراة، ليقرأها عليه ﷺ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ وَوَجْهُ رَسُولِ الله ﷺ يَتَغَيَّرُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ، أَمَا تَرَى مَا بِوَجْهِ رَسُولِ الله ﷺ؟ فَنَظَرَ عُمَرُ إِلَى وَجْهِ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: أَعُوذُ بِالله مِنْ غَضَبِ الله وَمِنْ غَضَبِ رَسُولِهِ، رَضِينَا بِالله رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِيناً وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا. فَقَالَ

---

(١) فتح الباري ١/ ١٤٢.

رَسُولُ الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ بَدَا لَكُمْ مُوسَى فَاتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَلَوْ كَانَ حَيًّا وَأَدْرَكَ نُبُوَّتِي لَاتَّبَعَنِي**» (١).

ومن ذلك: غضبُه ﷺ مما رآه حين خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ يَخْتَصِمُونَ فِي الْقَدَرِ، فَكَأَنَّمَا يُفْقَأُ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ مِنَ الْغَضَبِ، فَقَالَ: «**بِهَذَا أُمِرْتُمْ أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ! تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ! بِهَذَا هَلَكَتْ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ**»(٢).

زاد في رواية: «**إِنَّكُمْ لَسْتُمْ مِمَّا هَاهُنَا فِي شَيْءٍ، انْظُرُوا الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ فَاعْمَلُوا بِهِ، وَالَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**» (٣).

ومن ذلك: إظهارُه ﷺ الغضب أحيانا عند السؤال عما لا منفعة فيه، وعند السؤال عما لا ينبني عليه عمل، ويفتح باب الفتنة، لكنه غضب المعلم الناصح الذي يغرس معاني ومشاعر

---

(١) الحديث عن جابر أخرجه الدارمي في المقدمة، باب. ما يتقى من تفسير حديث النبي ﷺ١/ ١٢٦ (٣٥)، وأحمد(١٥١٥٦)، وغيرهما، وله شواهد كثيرة تقويه.

(٢) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب: في القدر ١/ ٣٣ (٨٥)، وقال البوصيرى في "مصباح الزجاجة" ١/ ٥٨ "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ".

(٣)أخرجه أحمد (٦٨٤٥).

النفور من مثل هذا السؤال، دون تعنيفٍ أو توبيخ يقطع بالسَّائل، أو استهزاءٍ بالسائل يمنعه من الانتفاع بالإجابة.

من ذلك: ما رواه أبو مُوسَى ﷺ قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا، فَلَمَّا أُكْثِرَ عَلَيْهِ غَضِبَ ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: «**سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ**». قَالَ رَجُلٌ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «**أَبُوكَ حُذَافَةُ**». فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ: «**أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ**». فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّا نَتُوبُ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ [1]

وإنما غضب ﷺ لأن الأسئلة التي سُئِلها ربما كانت عن الساعة أو الروح ونحوهما، وبعضها -كما ترى- أسئلة قد تفتح باب فتنة وهتك أسرار، ولا فائدة فيها.

ولم يكن غضب النبي ﷺ في تلك المواقف إلا عملاً توجيهياً وتعليميّاً، تحريضا للصحابة على التيقظ، وتحذيراً لهم من الوقوع في هذه الأخطاء، فالواعظ من شأنه أن يكون في صورة الغضبان! لأن مقامه يقتضي تكلُّف الانزعاج؛ لأنه في صورة المنذر، وكذا المعلِّم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره ١/ ١٨٧ (٩٢) وغيره، ومسلم في كتاب: الفضائل، باب: توقيره ﷺ ٤/ ١٨٣٤ (٢٣٦٠).

إذا أنكر على من يتعلَّم منه سوء فهم ونحوه؛ لأنه قد يكون أدعى للقبول منه، وليس ذلك لازمة في حق كل أحد، بل يختلف باختلاف أحوال المتعلِّمين.

وكان الصحابة ﷺ أكثر الناس تأدُّبا مع السنة وفي مجالس العلم والحديث، ولهذا كان يسيئهم جداً استهانة أحد بمجلس الحديث عن رسول الله ﷺ، وعدم إقباله على السماع بالإنصات التام والأدب الكامل اللائق بالمتعلم، وعندئذ يكون منهم إظهار الغضب لونا من ألوان التعليم، ولفت الأنظار، وإثارة انتباه الجميع وتوبيخ المخطئ، كما رأوا من نبي الهدى ﷺ.

من ذلك: ما فعله سَهْلُ بنُ سَعْدٍ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ فِي مَجْلِسِ قَوْمِهِ، وَهُوَ يُحَدِّثُهُمْ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، وَبَعْضُهُمْ مُقْبِلٌ عَلَى بَعْضٍ يَتَحَدَّثُونَ، فَغَضِبَ، ثُمَّ قَالَ: انْظُرْ إِلَيْهِمْ، أُحَدِّثُهُمْ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، عَمَّا رَأَتْ عَيْنَايَ وَسَمِعَتْ أُذُنَايَ، وَبَعْضُهُمْ مُقْبِلٌ عَلَى بَعْضٍ، أَمَا وَالله لأَخْرُجَنَّ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ، ثُمَّ لا أَرْجِعُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا. قِيلَ لَهُ: أَيْنَ تَذْهَبُ؟ قَالَ: أَذْهَبُ فَأُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ الله... الحديث(١)

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٦/ ١٠٨ (٥٦٥٦)، وقال الهيثمي في المجمع ١/ ١٥٥: "فيه عبد الحميد بن سليمان، وهو ضعيف".

**٥ - معلم حكيم:**

لم تعرف البشرية في تاريخها البعيد والقريب أحداً كمل عقله وتمت حكمته مثل رسول الله ﷺ، الذي جمع الله له بين الكمال البشري والوحي الإلهي، فقال تعالى ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ**﴾، فكان مسدداً مؤيداً موفقاً في استيعابه للخلق، ناجحا غاية النجاح في أن يسكب في قلوبهم ويسرِّب إلى نفوسهم ما ينفعهم من العلوم والمعارف والأذواق والأخلاق التي تخلقهم خلقاً جديداً، وتصنع منهم جيلاً فريداً، وتبني بهم حضارة راشدة عاقلة، وكان ذلك ببركة الحكمة التي رزقه الله إياها وامتن على الأمة بها في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ وقد تجلت هذه الحكمة بصورة واضحة في تعليمه ﷺ، وهاك بعض مظاهرها:

**أ- مراعاة حال المتعلم ومن يُلقَى إليه الحديث:**

لا ريب في أن المتعلمين -بل عموم الناس- تتفاوت مداركهم ومعارفهم، وتتباين ظروفهم وبيئاتهم، وأن ما يصلح لفرد أو لطائفة قد لا يصلح لغيرهما، وأن بعضهم قد يقصر عقله عن فهم المقصود ببعض الأخبار والعلوم، فإذا سمعوها حصلتْ لهم فتنةٌ في أنفسهم،

وبعضهم قد يكون سَيِّءَ القصد، فإذا سمع أخباراً معينةً أساء تأويلَها، وحَمَلَها على غير وجهها متابعةً لهواه، ولذلك كان ﷺ ربما حدَّث بعضَ أصحابه بأحاديثَ خاصةٍ وعلَّمهم أموراً تناسبهم ولا تناسب العامة، فقد أخرج البخاري في كتاب: العلم، باب: من خصَّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا[1] حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَمُعاذٌ رَدِيفهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ: «**يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ**». قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسولَ الله وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: **يَا مُعَاذُ**. قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ. ثَلَاثًا. قَالَ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّارِ**». قَالَ: يَا رَسُولَ الله أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «**إِذًا يَتَّكِلُوا**». وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا.

وفي رواية أن معاذاً قَالَ: أَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «**لَا، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَّكِلُوا**»[2]

وفي رواية معاذ ﷺ نفسه للقصة: قُلْتُ: يَا رَسولَ الله أَفَلَا

(١) ١/ ٢٢٥ (١٢٨)، وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا١/ ٦١(٣٢).

(٢) أخرجه البخاري في الموضع نفسه(١٢٩).

أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: «**لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا**»[١]

ومن ذلك: ما أسرَّ به النبيُّ ﷺ لعائشة في ترك بناء الكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام، ففي بَاب: مَنْ تَرَكَ بَعْضَ الِاخْتِيَارِ؛ مَخَافَةَ أَنْ يَقْصُرَ فَهْمُ بَعْضِ النَّاسِ عَنْهُ فَيَقَعُوا فِي أَشَدَّ مِنْهُ، من كتاب العلم، أخرج البخاري[٢] عنْ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ النَّخَعِي قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ الزُّبَيْرِ: كَانَتْ عَائِشَةُ تُسِرُّ إِلَيْكَ كَثِيرًا فَمَا حَدَّثَتْكَ فِي الْكَعْبَةِ؟ قُلْتُ: قَالَتْ لِي: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ لَوْلَا قَوْمُكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ -قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِكُفْرٍ- لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ فَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ، بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ وَبَابٌ يَخْرُجُونَ**». فَفَعَلَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ.

ومن ثم وجب على المعلِّم أن يراعيَ ذلك، فلا يحدِّث بما لا تحتمله عقول العوام من الطلاب، وذلك ما تعلمه وتحلَّى به الصحابة وحَضُّوا عليه ونبَّهوا إليه، فعن علي بن أبي طالب ﷺقال: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ- زاد في رواية: وَدَعُوا مَا يُنْكِرُونَ -

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد والسير، بَاب: اسْمِ الْفَرَسِ وَالْحِمَارِ ٦/ ٥٨(٢٨٥٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب:الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا١/ ٥٩(٣٠).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الحج، باب: نقض الكعبة وبنائها ٢/ ٩٦٨ (١٣٣٣).

أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ»(١).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»(٢)

ولهذا امتنع جماعة من الصحابة عن ذكر بعض الأحاديث التي سمعوها من النبي ﷺ في ظروفٍ خاصة وبصورة خاصةٍ، حتى لا تكون فتحاً لباب فتنة:

فعن أبي هريرة ﷺ قال: «حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وِعَاءَيْنِ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ»(٣).

وعنه ﷺ قال: «لَوْ أُحَدِّثُكُمْ بِكُلِّ مَا أَعْلَمُهُ لَرَمَيْتُمُونِي بِالْقِشْعِ»(٤). أي لبزقتم في وجهي؛ استخفافاً بي، وتكذيباً لقولي.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من خصَّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا ١/ ٢٢٥ (١٢٧)، والزيادة للسمعاني في أدب الإملاء والاستملاء ص٦٠.

(٢) أخرجه مسلم في المقدمة، باب: النهي عن الحديث بكل ما سمع ١/ ١١، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/ ٥٣٩،٥٤١ (٨٨٨، ٨٩٢)، والسمعاني في أدب الإملاء والاستملاء ص٦٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: حفظ العلم ١/ ٢١٦ (١٢٠.

(٤) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ٢/ ١٠٠١ (١٩٠٨) بإسناد صحيح.

وقيل: معناه لجعلتموني أحمق.

وفُسِّر القِشْع في رواية أخرى بالمزابل [١].

وعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: «وَالله لَوْ شِئْتُ لَحَدَّثْتُكُمْ أَلْفَ كَلِمَةٍ تُحِبُّونِي عَلَيْهَا أَوْ تُتَابِعُونِي وَتُصَدِّقُونِي بِرًّا مِنَ الله وَرَسولِهِ، وَلَوْ شِئْتُ لَحَدَّثْتُكُمْ أَلْفَ كَلِمَةٍ تُبْغِضُونِي عَلَيْهَا وَتُجَانِبُونِي وَتُكَذِّبُونِي»[٢].

وبَدَهي أن ما كتمه أبو هريرة وحذيفة وغيرهما من أصحاب النبي ﷺ هو مما لا يتعلق بالأحكام الشرعية؛ إذ لا يُعقَل أن يختص النبي ﷺ بعض الصحابة بذلك دون بعض، كما أنه ليس من الأخلاق والآداب ونحوها، وإنما هو مما يتعلق ببعض أشراط الساعة، والفتن التي ستحدث في الأمة، ونحو ذلك، مما يمكن أن يكون سببا لشق الصفوف وتفريق الأمة، أو يكون مما يصعب على بعض العقول تصوُّرُه، فتسبق إلى اتهام الراوي له بالخرق والحمق[٣].

---

(١) أخرجه أحمد (١٠٩٥٨،١٠٩٦٤)،وابن عبد البر في السابق (١٩٠٩)، وهو صحيح الإسناد بما قبله.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٣/ ١٦٣ (٣٠٠٥)، وقال الهيثمي في المجمع ١/ ١٨٢: "رجاله موثقون".

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/ ٥٩٧، و١٠/ ٦٠٣ -٦٠٤، وفتح الباري لابن حجر ١/ ٢١٦-٢١٧، و٢٢٥.

وهم في ذلك كله يتأثرون هذا الهديَ النبويَّ الكريمَ في حسن تعليم الناس ومراعاة عقولهم وأفهامهم.

**ب - مراعاة الفروق الفردية بين السائلين:**

وهذا من أهم آداب التعليم وقيمه التي راعاها المعلم الحكيم ﷺ، فإن ما يصلُح لتوجيه شخصٍ ما قد لا يصلُح لتوجيه غيره، ولذلك كان شأنه ﷺ مع السائلين شأن الطبيب مع المرضى، يصف لكل واحد منهم الدواء المناسب لعلته، والمحقق لبُرئه، فتجد الإجابة على السؤال لواحد تختلف من شخص إلى شخص، إذ يجيب النبي ﷺ كلاًّ بما يحتاج إليه، أو بما لم يكمله بعدُ من دعائم الإسلام، ولا بلغه علمه، أو بما هو الأفضل من غيره في وقت سؤاله، أو بما هو الأليق بحاله.

فمن ذلك: اختلاف الإجابة عن السؤال عن أفضل الإسلام، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قَالُوا: يَا رَسولَ الله، أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[١].

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: أي الإسلام أفضل ١/ ٥٤ (١١)، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان تفاضل الإسلام ١/ ٦٦ (٤٢).

وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»[١].

ومن ذلك: اختلافُ فتواه ﷺ في حكم تقبيل ومباشرة الصائم امرأته، إذ رخَّص فيها للشيخ دون الشاب، فعن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الْمُبَاشَرَةِ لِلصَّائِمِ فَرَخَّصَ لَهُ، وَأَتَاهُ آخَرُ فَسَأَلَهُ فنهاهُ، فَإِذَا الَّذِي رَخَّصَ لَهُ شَيْخٌ وَالَّذِي نَهَاهُ شَابٌّ[٢].

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَ شَابٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أُقَبِّلُ وَأَنَا صَائِمٌ؟ قَالَ: «لَا». فَجَاءَ شَيْخٌ فَقَالَ: أُقَبِّلُ وَأَنَا صَائِمٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: فَنَظَرَ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قَدْ عَلِمْتُ لِمَ نَظَرَ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ، إِنَّ الشَّيْخَ يَمْلِكُ نَفْسَهُ»[٣].

ومن ذلك: وصاياه ﷺ المختلفة لأُناسٍ استوصوه وطلبوا منه أن يعلمهم مما علمه الله، فأوصى كلَّ واحد بوصية غير الآخر،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: إطعام الطعام من الإسلام ١/ ٥٥ (١٢ وغيره، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان تفاضل الإسلام ١/ ٦٥ (٣٩/ ٦٣).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب: الصوم، باب: كراهيته للشاب ٢/ ٣٢١ (٢٣٨٧.

(٣) أخرجه أحمد (٧٠٥٤)، وفي سنده عبد الله بن لَهيعة، ويشهد له الحديث قبله.

مراعيا اختلاف أحوالهم.

فعن أبي ذر ﷺ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَوْصِنِي. قَالَ: «**اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»[(١)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي. قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**». فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**»[(٢)].

وعنه ﷺ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ. قَالَ: «**تَعْبُدُ الله لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ**». قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا. فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا**»[(٣)]

---

(١) أخرجه **أحمد** (٢١٤٠٣)، **والترمذي** - وقال: حسن صحيح - في كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في معاشرة الناس ٤/ ٣٥٥ (١٩٨٧).

(٢) أخرجه **البخاري** في كتاب: الأدب، باب: الحذر من الغضب ١٠/ ٥١٩ (٦١١٦)، **والترمذي** في كتاب. البر والصلة، باب: ما جاء في كثرة الغضب ٤/ ٣٧١(٢٠٢٠)، واللفظ للترمذي.

(٣) أخرجه **البخاري** في كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة ٣/ ٢٦١ (٦١١٦) **ومسلم** في كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة ١/ ٤٤ (١٤).

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ بُسْرٍ ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ. قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ الله»(١).

وأحاديثُ أُخَرُ من هذا الباب، جاءتْ فيها وصايا النبي ﷺ الجامعة المختلفة، وجاء هذا الاختلافُ في إجابة السؤال الواحد محمولاً على اختلاف السائلين أو السامعين، ومراعاةً لأحوالهم وحاجاتهم.

بل إن المعلم الحكيم ﷺ كان حريصاً على اختيار المعلم المناسب لكل قوم، بحيث يكون معروفاً لديهم، مقبولاً قولُه ونصحُه عندهم، ولذلك اختار لتعليم أهل اليمن أبا موسى الأشعري ﷺ، لأنه من اليمن، كما اختار لباهلة الصحابيَّ الجليلَ أبا أمامة الصُّدَيَّ بنَ عَجْلان الباهلي ﷺ الذي قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى قومي، أدعوهم إلى الله تبارك وتعالى، وأعرض عليهم شرائع الإسلام، فأتيتُهم وقد سَقَوْا إبِلَهُمْ واحتلبوها وشربوا، فلما رأوني قالوا: مرحباً بالصُّدَيِّ بن عَجْلان، وقالوا: بلغنا أنك

---

(١) أخرجه الترمذي- وقال: حسن غريب - في كتاب. الدعوات، باب. ما جاء في فضل الذكر ٥/ ٤٥٨ (٣٣٧٥)، وابن ماجه في كتاب، الأدب، باب. فضل الذكر ٢/ ١٢٤٦ (٣٧٩٣).

صَبَوْت إلى هذا الرجل. قلت: لا، ولكن آمنتُ بالله وبرسوله، وبعثني رسوله ﷺ إليكم، أعرض عليكم الإسلام وشرائعه[١].

**ج - الاعتدال وعدم الإملال واختيار الوقت المناسب:**

كان من حكمته ﷺ أن يقتصد في تعليمه في مقدار ما يلقيه، وفي نوعه، وفي زمانه، حتى لا يملَّ الصحابة، كما كان ﷺ يختار أوقات النشاط الذهني، والاستعداد النفسي، لدى أصحابه، ويباعد بين الموعظة وأختها، حتى تشتاق النفس، وينشرح الصدر للتلقي، وحتى ينشطوا لحفظه، ويسهل عليهم عَقْلُه وفهمُه، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «كَانَ النَّبِيّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ (يعني يتعهدنا ويُذَكِّرنا يوماً بعد يوم) كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا»[٢].

ولا ريب أن مثل هذا الأسلوب يراعي طاقات المتعلِّمين، ويطارد المللَ الذي قد يصيبُ بعضهم، ويُبقي النفوسَ في حالةٍ من

---

(١) أخرجه الحاكم ٣/ ٦٤١- ٦٤٢ وسكت عليه، وتعقَّبه الذهبي، و الطبراني في الكبير ٨/ ٣٣٥ (٨٠٧٤) و٣٤٣ (٨٠٩٩) بإسنادين، قال الهيثمي في المجمع ٩/ ٣٨٧: " وإسناد الأول حسن".

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ١/ ١٦٢(٦٨).

الشوق والترقب، والأذهان في حالة من النشاط والتحفُّز، فتجتهدُ في الحفظ والضبط والوعي.

ولله درُّ الجاحظ إذ يقول: «قليلُ الموعظة مع نشاط الموعوظ خيرٌ من كثيرٍ وافق من الأسماع نَبْوةً، ومن القلوب ملالة»(١).

وهذا مما تأسَّى فيه الصحابة ﷺ بالنبي المصطفى ﷺ، فقد تعلَّموا أن مَنْ أطال الحديث وأكثر القول فقد عرَّض أصحابَه للملال وسوء الاستماع، وأن المعلِّمَ إن ترك فضلةً من حديثه ثم عاد إليها بعد ذلك كان أفضلَ وأصلحَ من أن يلقي على الطلاب ما يلزمهم استماعُه من غير رغبة فيه ولا نشاطٍ له.

فعن أبي وائل شقيق بن سلمة رحمه الله قال: كَانَ عَبْدُ الله (ابن مسعود) يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا(٢).

---

(١) أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/ ١٨١ (١٤٢١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من جعل لأهل العلم أياما معلومة ١/ ١٦٣ (٧٠)، ومسلم في كتاب: صفة المنافقين، باب: الاقتصاد في الموعظة ٤/ ٢١٧٣ (٢٨٢١).

وفي رواية قَالَ: أَمَا إِنِّي أَخبرُ بِمَكَانِكُمْ، وَلَكِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ الخُرُوجِ إِلَيْكُمْ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهِيَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا[١].

وكان ﷺ يوصي أصحابه بذلك، فيقول: «لاَ تُمِلُّوا النَّاسَ»[٢].

ويقول: «إِنَّ لِلْقُلُوبِ نَشَاطاً وَإِقْبَالاً، وَإِنَّ لَهَا تَوْلِيَةً وَإِدْبَاراً، فَحَدِّثُوا النَّاسَ مَا أَقْبَلُوا عَلَيْكُمْ»[٣].

وبذلك أوصى ابنُ عباس ﷺ مولاه عكرمةَ رحمه الله، فقال: «حَدِّثْ النَّاسَ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ أَبَيْتَ فَمَرَّتَيْنِ، فَإِنْ أَكْثَرْتَ فَثَلَاثَ مِرَارٍ، وَلَا تُمِلَّ النَّاسَ هَذَا الْقُرْآنَ، وَلَا أُلْفِيَنَّكَ تَأْتِي الْقَوْمَ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ فَتَقُصُّ عَلَيْهِمْ فَتَقْطَعُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ فَتُمِلُّهُمْ، وَلَكِنْ أَنْصِتْ فَإِذَا أَمَرُوكَ فَحَدِّثْهُمْ وَهُمْ يَشْتَهُونَهُ»[٤]

ويبدو أن ذلك كان شائعاً بين سائر الصحابة ﷺ، فعن الحسن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الدعوات، باب: الموعظة ساعة بعد ساعة ١١/ ٣٢٨ (٦٤١١)، ومسلم في كتاب: صفات المنافقين، باب: الاقتصاد في الموعظة ٤/ ٢١٧٢ (٢٨٢١).

(٢) أخرجه الدارمي في المقدمة، باب: من كره أن يمل الناس ١/ ١٣٠ (٤٤٧) وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه الدارمي في السابق (٤٤٨).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: الدعوات، باب: ما يكره من السجع في الدعاء ١١/ ١٣٨ (٦٣٣٧).

البصري رحمه الله قال: «كَانَ يُقَالُ: حَدِّثِ الْقَوْمَ مَا أَقْبَلُوا عَلَيْكَ بِوُجُوهِهِمْ، فَإِذَا الْتَفَتُوا فَاعْلَمْ أَنَّ لَهُمْ حَاجَاتٍ»[1]. فقوله «كان يقال» يدل على شيوع هذه المقالة فيما بينهم عن الصحابة، والله أعلم.

**د - معرفة ميول الطلاب وتعليم الطالب ما يراه مائلا إليه من العلوم:**

فلا شك أن العلم الذي تميل النفس إلى تحصيله ويكون لها به مزيدُ اعتناء يكون ألصقَ بالذهن وأسهلَ في الحفظ والضبط، وكلُّ من حُبِّب إليه شيءٌ فإنه يفوق فيه غيرَه، وقد كان المعلم الحكيم ﷺ يهتم بمعرفة ميول أصحابه والتعرف إلى مواهبهم، ويجتهد في تعليمهم ما هو أنسب لهم، كما فعل مع أبي هريرة ﷺ حين رآه مهتماً بجمع العلم وحفظ الحديث، فكان النبي ﷺ يثني على طلبه للعلم ويشجعه على ذلك، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسولَ الله مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ**»[2].

---

(١) أخرجه الدارمي في المقدمة، باب: من كره أن يمل الناس ١/ ١٣٠ (٤٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار ١١/ ٤٨١ (٦٥٧٠) وغيره.

ولما لاحظ ﷺ ميل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه واهتمامه بمعرفة الفتن علَّمه من حديث الفتن ما لم يعلم غيرَه، ومن ثم كان حذيفة صاحبَ السرِّ الذي لا يعلمه غيره، حتى خُص بمعرفة أسماء المنافقين وبكثير من الأمور الآتية، فعن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسولَ الله ﷺ عَنْ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا الله بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ» قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» قُلْتُ: يَا رَسولَ الله صِفْهُمْ لَنَا، فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ» قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام ٦/ ٦١٥ (٣٦٠٦) وغيره، ومسلم في كتاب: الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ٣/ ١٤٥٧ (١٨٤٧).

وهكذا كان من حكمته ﷺ في التعليم: أن يُعَلِّم التلميذَ من أنواع العلوم ما يراه مائلاً إليه من العلوم المباحة؛ إذ هو أجدر أن يسرع إلى تفهمه والقيام به.

**هـ - لَفْت السائل إلى أَوْلى مما سأل عنه:**

وهذا ما يسميه البلاغيون «أسلوب الحكيم»، وذلك بأن يسأل السائل عن شيء، فيجيبه النبي ﷺ بشيء آخر مما يهمه، أو مما هو أهم مما سأل عنه، أو مما هو أنفع له، كإجابته ﷺ لمن سأله عن الساعة، فلفته عن هذا السؤال إلى ما هو أحوج إليه وأفضل نفعاً، وهو إعداده العمل الصالح لهذا اليوم، أما وقته فأمر اختص الله بعلمه.

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «**وَمَا أَعْدَدْتَ لِلسَّاعَةِ**» قَالَ: حُبَّ الله وَرَسُولِهِ. قَالَ: «**فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**» قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**». قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ[1].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب ٤ / ٢٠٣٢

فأنت ترى كيف لفته النبي ﷺ إلى ما هو الأنفع له، ثم زاده تبصيراً بفضيلة حب الصالحين، والتحذير من اتخاذ قرناء السوء، وترى كيف فرح الصحابة رضوان الله عليهم بمضمون الإجابة فرحاً بالغاً، ولا شك أنهم حفظوا ذلك، وتناقلوه فيما بينهم، وبشَّر به بعضُهم بعضا.

**٦ – معلم مثير مشوق:**

لم يكن النبي ﷺ معلماً عادياً أو تقليدياً، إنما كان آيةً من آيات الله الكبرى في السيطرة على قلوب طلابه والتحكم الكامل في عقولهم، من خلال طرقه وأساليبه التعليمية الرائعة الماتعة، التي تثير أشواق المتعلمين وتبعث فيهم رغبة قوية في التعلم والفهم والإدراك عنه ﷺ، وهاك بعض وسائل الإثارة والتشويق التي استعملها النبي الأكرم والمعلم الأعظم ﷺ:

**أ – ضرب الأمثال:**

للمثل أثر بالغ في إيصال المعنى إلى العقل والقلب، ذلك أنه يقدم المعنويَّ في صورة حسيةٍ، فيربطه بالواقع، ويقرِّبه إلى الذهن، فضلاً عن أنَّ للمثل بمختلف صُوَرِه بلاغةً تأخذ

---

(٢٦٣٩).

بمجامع القلوب، وتستهوي العقول، وبخاصةٍ عقولُ البلغاء، وقد كان الصحابةُ أهلَ البلاغة والبيان، ولذلك استكثر القرآن منِ ضرب الأمثال، وذكر حكمةَ ذلك في آيات كثيرة، فقال تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٣)، ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر: ٢١) إلى غير ذلك من الآيات. وعلى هذا المنهج الكريم سار النبيُّ المعلمُ ﷺ، فاستكثر من ضرب الأمثال، حتى إنه قد أُلِّفت كتبٌ متعددةٌ في الأمثال في الحديث النبوي، وحتى قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: «حَفِظْتُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَلْفَ مَثَلٍ»[1].

ومن أمثاله العظيمة: قوله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[2].

---

(١) أخرجه الرامهرمزى في الأمثال ص ٢٩(١)، وأبو نعيم في الحلية ٥/ ١٦٩، والذهبي في السير ٣/ ٨٧ وأخرجه أحمد ٤/ ٢٠٣ عن عمرو بن العاص، وقال الهيثمي في المجمع ٨/ ٢٦٤: "إسناده حسن".

(٢) عن النعمان بن بشير، أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم ١٠/ ٤٣٨ (٦٠١١)، ومسلم في كتاب: البر والصلة، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم

وقوله ﷺ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْم كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ(صِلاب الأرض) أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ الله بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ الله وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى الله الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» (١).

وهناك نوع آخر من المثل غير المشابهة المذكورة، ويسمى بالمثل السائر، يتداوله الحكماءُ في كلامهم، وهو عبارة عن قولٍ في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة؛ ليبين أحدُهما الآخرَ ويصوِّره، نحو قولهم **«الصيفَ ضيعتِ اللبن»** فإن هذا القول يشبه قولك: أهملتَ وقتَ الإمكان أمرَك، وعلى هذا الوجه ما ضرب الله تعالى من الأمثال. وهذا النوع من أبلغ أنواع الكلام وأيسرها في

---

٤/ ١٩٩٩ (٢٥٨٦).

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب: فضل من علم وعلَّم ١/ ١٧٥ (٧٩)، ومسلم في كتاب: الفضائل، باب: بيان مثل بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم ٤/ ١٧٨٧ (٢٢٨٢).

الحفظ وأكثرها تداولاً بين الناس.

من ذلك ما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ» (١).

فهذا فيه أدبٌ شريفٌ أدَّب به النبي ﷺ أمتَه، ونبَّهَهم كيف يحذرون مما يخافون سوء عاقبته. وهذا الكلام مما لم يُسْبَق إليه النبي ﷺ.

**ب - طرح المسائل:**

من المعلوم أن توجيه السؤال للمتعلم يفتح ذهنه ويركز اهتمامه في الإجابة، ويحدث حالة من النشاط الذهني الكامل، ويحدث لونا من التواصل القوى بين المعلم والمتعلم، وهو لذلك من الوسائل التربوية المهمة.

وقد استخدم النبي ﷺ السؤال في صورٍ متعددة لتعليم الصحابة، مما كان له كبير الأثر في حسن فهمهم وتمام وعيهم.

- فأحيانا يوجه النبي ﷺ السؤال، لمجرد الإثارة والتشويق

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ١٠/ ٥٢٩ (٦١٣٣)، ومسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين" ٤/ ٢٢٩٥ (٢٩٩٨).

ولفت الانتباه، ويكون السؤال عندئذ بصيغة التنبيه «ألا» غالبا.

من ذلك ما رواه أبو هريرة ﷺأَنَّ رَسولَ الله ﷺ قَالَ: **«أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو الله بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ»** قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله. قَالَ: **«إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ»** (١).

وما رواه أبو بكْرَةَﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ»** ثَلَاثًا قَالُوا: بَلَى يَا رَسولَ الله. قَالَ: **«الْإِشْرَاكُ بِالله، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ»** وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: **«أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ»** قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ (٢).

- وأحيانا يسألهم النبي ﷺ عما يعلم أنهم لا علم لهم به، وأنهم سَيكلُون علمه إلى الله ورسوله ﷺ، وإنما يقصد إثارة انتباههم للموضوع، ولفت أنظارهم إلَيه، كما فعل مع معاذ بن جبل ﷺ الذي قال: بَيْنَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا أَخِرَةُ الرَّحْلِ فَقَالَ: **«يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ»** قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسولَ الله

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الطهارة، باب:فضل إسباغ الوضوء ١/ ٢١٩ (٢٥١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الشهادات، باب: ما قيل في شهادة الزور٥/ ٢٦١ (٢٦٥٤) وغيره، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها ١/ ٩١ (٨٧/ ١٤٣).

وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسولَ الله وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى عِبَادِهِ؟» قُلْتُ: الله وَرَسولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «حَقُّ الله عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسولَ الله وَسَعْدَيْكَ. فَقَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى الله إِذَا فَعَلُوهُ؟» قُلْتُ: الله وَرَسولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى الله أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ»(١).

- وأحيانا يسألهم النبي ﷺ عن شيء معلومٍ لديهم، فيجيبون بما يعلمون، فيلفتُ النبيُّ ﷺ أنظارَهم إلى معنى غريبٍ لم ينتبهوا إليه، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: اللباس، باب: إرداف الرجل خلف الرجل ١٠/ ٣٩٧ (٥٩٦٧)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ١/ ٥٨-٥٩ (٣٠).

**فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»** (١).

-وأحيانا يسأل فيحسن أحد الصحابة الإجابة، فيُثني عليه ويمدحه، تشجيعاً له، وتحفيزاً لغيره، كما فعل مع أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه حين قالَ له رَسولُ الله ﷺ: **«يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أَعْظَمُ؟»** قَالَ: قُلْتُ: الله وَرَسولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: **«يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أَعْظَمُ؟»** قَالَ: قُلْتُ: **﴿الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾**. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: **«وَالله لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»** (٢)أي ليكن العلم هنيئا لك.

ولا شك أن مثل هذا الاستحسان والتشجيع يبعث المتعلم على الشعور بالارتياح والثقة بالنفس، ويدعوه إلى طلب وحفظ المزيد من العلم وتحصيله.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة، باب: تحريم الظلم ٤/ ١٩٩٧ (٢٥٨١). وينظر: البخاري، كتاب: العلم، باب: طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم ١/ ١٤٧، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، باب: طرح العالم المسألة على المتعلم ١/ ٤٧٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي ١/ ٥٥٦ (٨١٠)، وأبو داود في كتاب: الصلاة، باب ما جاء في آية الكرسي ٢/ ٧٢ (١٤٦٠).

**ج - إلقاء المعاني الغريبة المثيرة للاهتمام والداعية إلى الاستفسار والسؤال:**

وهذا لونٌ رائع من ألوان التعليم، يثير في النفس الرغبة القوية في السؤال، ويدفعها بقوة إلى التطلُّع للمعرفة، واستشراف الجواب، ومن ثَمَّ استيعابه وحفظه؛ لما فيه من طرافةٍ وغرابة.

من ذلك ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ صَلَاتَهُ»** قَالُوا: وَكَيْفَ يَسْرِقُ صَلَاتَهُ؟ قَالَ: **«لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا»** (١).

ومن ألطف ذلك وأجمله: ما رواه جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ (يعني عن جانبيه) فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ (يعني مقطوع الأذنين) مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ: **«أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟»** فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: **«أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟»** قَالُوا: وَالله لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ؛ لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: **«فَوَالله لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»**(٢).

---

(١) صححه ابن حبان ٥/ ٢٠٩ (١٨٨٨)، والحاكم - ووافقه الذهبي - في المستدرك ١/ ٢٩٩، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٣٨٦، وله شواهد كثيرة.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق ٤/ ٢٢٧٢ (٢٩٥٧).

**د – استخدام القصص الهادف:**

النفوس بطبيعتها تحب القصص وتتعايش مع أحداث القصة بأرواحها وعقولها، وتتجاوب معها بعواطفها ومشاعرها، وتتسرب دروسُ القصص وعِبَرُها إلى النفس البشرية تسرُّباً لطيفاً لا تملك معه إلا التسليم والاستفادة منها، وقد أحسن النبي ﷺ توظيف القصص التعليمي غاية الإحسان وأبدع في ذلك كل الإبداع، ولا يكاد بابٌ من أبواب هذا الدين الكريم بأصوله وفروعه يخلو من عدد من القصص النبوية المؤثرة التي كان النبي يقصها أحيانا لأفراد أو مجموعات قي مجالس خاصة أو عامة، وسواء كانت تلك القصص عن الأنبياء الذين سبقوه أو عن أقوام آخرين، وسواء ذكر تلك القصص بطولها أو اقتصر على موضع الدلالة منها، وفي معظم الأحوال كان ﷺ يختصر القصص، وقد جمع العلماء كتبا كثيرة في القصص النبوي .

فمن ذلك: ما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ . فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ . فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ! أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ! فَقَبَضَ**

**أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟! وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي. وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ»** [1].

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ.

فانظر كيف صاغ النبي القصة صياغة مختصرة رائعة، وكيف سهل على المتعلم (أبي هريرة) أن يستخرج الدرس المقصود منها بسهولة!.

ومن ذلك ما ورد في دعوته أصحابه والأمة والناس أجمعين إلى التحاب والتوادّ في الله تعالى، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: **«أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ**(أي طريقه) **مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ؟ قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟**(أي تقوم بإصلاحها) **قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي**

(١) أخرجه أبو داود بسند حسن في كتاب: الأدب، باب في النهي عن البغي ٤/ ٢٧٥(٤٩٠١).

**أَحْبَبْتُهُ فِي الله عَزَّ وَجَلَّ! قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكَ بِأَنَّ الله قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»** (١).

وحين أرادﷺ أن يعلم أصحابَه وأمتَه خُلُق الرجاء في رحمة الله مهما عظم الذنب، والخوف من شدة عقابه مهما بدا لهم أن ما فعلوه شيءٌ هيِّن؛ فإنه استخدم القصص لتعليمهم هذا الدرس، كما في الحديث التالي:

قال الإمام الزُّهْرِيُّ لتلميذه معمر بن راشد: أَلَا أُحَدِّثُكَ بِحَدِيثَيْنِ عَجِيبَيْنِ! أَخْبَرَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ فَقَالَ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ، فَوَالله لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبُنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَ بِهِ أَحَدًا. قَالَ: فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ، فَقَالَ**(أي الله سبحانه وتعالى) **لِلْأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتِ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: خَشْيَتُكَ يَا رَبِّ، أَوْ قَالَ: مَخَافَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ»**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَاب فِي فَضْلِ الْحُبِّ فِي اللهِ ٤/ ١٩٨٨ (٢٥٦٧).

قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَحَدَّثَنِي حُمَيْدٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «**دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا، تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ هَزْلًا**».

قَالَ الزُّهْرِيُّ: «ذَلِكَ لِئَلَّا يَتَّكِلَ رَجُلٌ، وَلَا يَيْأَسَ رَجُلٌ»[1].

فالقصة الأولى تدفع اليأس من رحمة الله، والثانية تدفع الاتكال على سعة الرحمة والاستهانة بالمعصية، وبذا يجتمع ويعتدل الخوف والرجاء.

**٧ – معلم مبدع مبتكر:**

المعلم الناجح هو الذي يستخدم كل الأدوات المتاحة لإيصال رسالته التعليمية لتلاميذه، ويتفنن في ابتكار وسائل متعددة تدفع الملل والرتابة، وتبقي ذهن المتعلم في أتم حالات الحضور والنشاط والاستعداد للتعلم والفهم؛ وتقرر وتؤكد المعني في نفوس وعقول المتعلمين، وتشغل كل حواسهم بالموضوع، وتركز انتباههم فيه، مما يساعد على تمام وعيهم وحسن حفظهم

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ٤/ ٢١١٠(٢٦١٨).

وفهمهم للدرس بكل ملابساته.

وذلك ما تميز به النبي الأكرم والمعلم الأعظم ﷺ الذي استخدم كافة أدوات ووسائل التوضيح التي أُتيحت له، فقد استخدم حواسه المختلفة ومفردات بيئته المتنوعة في تعليم أصحابه، وبرع في ذلك غاية البراعة، ومن هذه الوسائل:

**أ - التعبير بحركة اليد:**

كتشبيكه ﷺ بين أصابعه وهو يبين طبيعة العلاقة بين المؤمن وأخيه، فعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ** (١)

ومن ذلك: تمثيله ﷺ لما فعلته الطير بأمر سليمان عليه السلام عند وفاة داود عليه السلام، وذلك فيما رواه أبو هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسولَ الله ﷺ قَالَ: **«كَانَ دَاوُدُ النَّبِيُّ فِيهِ غَيْرَةٌ شَدِيدَةٌ وَكَانَ إِذَا خَرَجَ أُغْلِقَتْ الْأَبْوَابُ فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى أَهْلِهِ أَحَدٌ حَتَّى يَرْجِعَ. قَالَ: فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ وَغُلِّقَتْ الدَّارُ، فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ تَطَّلِعُ إِلَى الدَّارِ فَإِذَا**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المظالم، باب: نصر المظلوم ٥/ ٩٩ (٢٤٤٦) وغيره، ومسلم في كتاب: البر والصلة، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ٤/ ١٩٩٩ (٢٥٨٥).

رَجُلٌ قَائِمٌ وَسَطَ الدَّارِ، فَقَالَتْ لِمَنْ فِي الْبَيْتِ: مِنْ أَيْنَ دَخَلَ هَذَا الرَّجُلُ الدَّارَ وَالدَّارُ مُغْلَقَةٌ؟ وَاللهِ لَتُفْتَضَحُنَّ بِدَاوُدَ! فَجَاءَ دَاوُدُ فَإِذَا الرَّجُلُ قَائِمٌ وَسَطَ الدَّارِ، فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا الَّذِي لَا أَهَابُ الْمُلُوكَ، وَلَا يَمْتَنِعُ مِنِّي الْحُجَّابُ؟ فَقَالَ دَاوُدُ: أَنْتَ وَاللهِ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَمَرْحَبًا بِأَمْرِ اللهِ. فَرَمَلَ دَاوُدُ مَكَانَهُ حَيْثُ قُبِضَتْ رُوحُهُ (يعني أسرع في المشي إلى الموضع الذي أراد أن تُقبض فيه روحه) حَتَّى فَرَغَ مِنْ شَأْنِهِ، وَطَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِلطَّيْرِ: أَظِلِّي عَلَى دَاوُدَ. فَأَظَلَّتْ عَلَيْهِ الطَّيْرُ حَتَّى أَظْلَمَتْ عَلَيْهِمَا الْأَرْضُ، فَقَالَ لَهَا سُلَيْمَانُ: اقْبِضِي جَنَاحًا جَنَاحًا».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «يُرِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ كَيْفَ فَعَلَتْ الطَّيْرُ، وَقَبَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ الْمُصَرِّحِيَّةُ»[١].

أي غلبت عليه صفة التصريح والإيضاح في البيان، حتى يوضح المراد بالكلام، ويستعين عليه بالإشارة باليد، والله أعلم[٢].

---

(١) أخرجه أحمد (٩٤٣٣)، وقال الهيثمي في المجمع ٨/ ٢٠٧: "فيه المطلب بن عبد الله بن حنطب، وثقه أبو زرعة وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) عن هامش الحديث من مسند أحمد، طبعة مؤسسة الرسالة بإشراف: شعيب الأرناؤوط.

**ب - التعبير بالرسم على الأرض:**

فكان ﷺ يخُّط على الأرض خطوطاً توضيحيةً تلفت نظر الصحابة ثم يأخذ في شرح مفردات ذلك التخطيط، وبيان المقصود منه.

فمن ذلك ما رواه عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا

الأجل
الأمل

صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ، وَقَالَ: **«هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ، وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا»** (١).

ففي هذا الحديث بيَّن لهم النبي ﷺ بالرسم على الأرض كيف يُحال بين الإنسان وبين آماله الكثيرة الواسعة بالأجل المفاجئ، أو الحوادث والنوائب المهلكة والفاجعة التي تتواتر عليه يتبع بعضها بعضا، إذا سلم من واحدة أوجعته أختُها، حتى يأتيه الموت، وفي ذلك دعوة لقِصَر الأمل، وحضٌّ على الاستعداد للموت قبل هجومه المفاجئ.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق باب: في الأمل وطوله ١١/ ٢٣٥ - ٢٣٦ (٦٤١٧).

ومن ذلك: رسمُه ﷺ صورةً للإسلام صراطِ الله المستقيم بالنسبة للسبل الأخرى، فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ الله ﷺ خَطًّا ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا سَبِيلُ الله**» ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: «**هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**» ثُمَّ قَرَأَ ﴿**إِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ (الأنعام: ١٥٣)[١]

**ج - التعبير برفع وإظهار الشيء موضوع الحديث:**

كما فعل ﷺ عند الحديث عن حكم لبس الحرير والذهب،فعن عَلِيٍّ ﷺ قال: إِنَّ نَبِيَّ الله ﷺ أَخَذَ حَرِيرًا فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ، وَأَخَذَ ذَهَبًا فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي**» زاد في رواية «**حِلٌّ لِإِنَاثِهِمْ**»[٢].

فجمع النبي ﷺ بين القول وبين رفع الذهب والحرير وإظهارهما، حتى يجمع بين السماع والمشاهدة، فيكون ذلك أوضح وأعون على الوعي والفهم.

---

(١) أخرجه أحمد (٤١٤٢)، وصححه الحاكم ٢/ ٣١٨ ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب: اللباس، باب: في الحرير للنساء ٤/ ٥٠ (٤٠٥٧)، وصححه ابن حبان ١٢/ ٢٥٠ (٥٤٣٤)، وحسَّن النووى إسناده في رياض الصالحين (٨٠٧)، وله شواهد كثيرة يصح بها.

**د- التعليم العملي بفعل الشيء أمام الناس:**

حتى يتعلموا من مشاهدتهم له في فعله ﷺ، كما فعل عند تعليمهم طريقة الصلاة؛ إذ صعد المنبر فصلَّى بحيث يراه الناس أجمعون، ثم يعملون بمثل عمله، فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه وقد سئل عن منبر النبي ﷺ فَقَالَ: مَا بَقِيَ بِالنَّاسِ أَعْلَمُ مِنِّي، هُوَ مِنْ أَثْلِ الْغَابَةِ(أي من شجر الغابة وهي موضع في المدينة) عَمِلَهُ فُلَانٌ مَوْلَى فُلَانَةَ لِرَسُولِ الله ﷺ، وَقَامَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ عُمِلَ وَوُضِعَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، كَبَّرَ، وَقَامَ النَّاسُ خَلْفَهُ، فَقَرَأَ وَرَكَعَ، وَرَكَعَ النَّاسُ خَلْفَهُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ رَجَعَ الْقَهْقَرَى (أي مشى إلى خلف، من غير أن يعيد وجهه إلى جهة مشيه)، فَسَجَدَ عَلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ رَكَعَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ رَجَعَ الْقَهْقَرَى حَتَّى سَجَدَ بِالْأَرْضِ، فَهَذَا شَأْنُهُ [(١)]

زاد في رواية: فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتَمُّوا، وَلِتَعَلَّمُوا (أي تتعلموا) صَلَاتِي» [(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الصلاة، باب: الصلاة في السطوح والمنبر والخشب ١/ ٤٨٦ (٣٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الجمعة، باب: الخطبة على المنبر ٢/ ٣٩٧ (٩١٧)، ومسلم في كتاب: المساجد، باب: جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة ١/ ٣٨٦ - ٣٨٧ (٥٤٤).

وهذا من أمثل وسائل التعليم، وأفضل وسائل التربية والتوجيه؛ أن يقوم المعلم بأداء الفعل أمام طلابه، وقد تعلم الصحابة ﷺ هذه الوسيلة، وكانوا يقومون أمام طلابهم بمثل ما رأوا النبي ﷺ يفعل، فيكون ذلك أوقع في نفس المتعلِّم، وألصق بذهنه:

فمن ذلك: ما رواه ابن عباس رضي الله عنه قال: أَخَذَ عُمَرُ رضي الله عنه بِيَدِي، فَعَلَّمَنِي التَّشَهُّدَ، وَزَعَمَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ، فَعَلَّمَهُ التَّشَهُّدَ: التَّحِيَّاتُ لله، وَالصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ الْمُبَارَكَاتُ لله[1].

ومن ذلك ما رواه حُمْرَانُ مَوْلَى عُثْمَانَ: أَنَّهُ رَأَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنه دَعَا بِإِنَاءٍ فَأَفْرَغَ عَلَى كَفَّيْهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ فَغَسَلَهُمَا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الْإِنَاءِ فَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلَاثَ مِرَارٍ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[2].

---

(١) أخرجه الدارقطني - وحسنه - في السنن ١/ ٣٥١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الوضوء، باب: المضمضة في الوضوء ١/ ٢٦٦ (١٦٤) و (١٥٩، ١٦٠).

وفعل مثلَ ذَلك ابنُ عباسٍ ﷺ، ثم قال: «هكذا رأيتُ رسول الله ﷺ يتوضأ»(١).

وفي هـذا دلالـة عـلى اقتـداء الصـحابة ﷺ بـهﷺ في التعلـيم بالفعل؛ لأنه أوقع في النفس، وأدعى للمعرفة والفهم.

**٨ - معلم قادر على توظيف الأحداث والوقائع:**

المعلمُ الناجحُ صاحبُ الرسالة هو الذي لا يفوِّت فرصة من غير أن يجعلها مناسبة لتعليم تلاميذه ما هم بأمس الحاجة لتعلمُّه، ومـن ذلـك اسـتغلال الوقـائع التـي تحصـل للأفـراد أو للجماعـة، والحوادث المختلفة التي تحصل في الكون، لتعليم الأمة ما يناسب تلـك الوقـائع والحـوادث مـن العقائـد أو العبـادات أو الآداب والأخلاق، أو غير ذلك من أمور الدين والدنيا.

وقد كان النبي الأكرم والمعلم الأعظم ﷺ آية من آيات الله في هذا المضمار، وصح عنه في هـذا البـاب مـا لا سـبيل إلى حصره مـن الوقائع، وهاك بعضها فيما يلي:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الوضوء، باب: غسل الوجه باليدين من غَرفة واحدة ١/ ٢٤٠ (١٤٠).

**أ - تعليقه ﷺ على ما صدر من بعض الصحابة من أفعال:**

من ذلك تعليقه على أفعال النفر الثلاثة الذين أتوا مجلسه ﷺ وقد غَصَّ بالناس، فجلس اثنان، وانصرف الثالث، فعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى الله، فَآوَاهُ الله، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا، فَاسْتَحْيَا الله مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ الله عَنْهُ**»[1].

**ب - تصحيحه ﷺ لبعض ما شاع من أخطاء إثر حصول شيء منها:**

فذلك من أنسب الظروف لتصحيح الخطأ، وكشف الصواب، كما حصل منه إثر اعتقاد البعض أن الشمس كسفت لموت ابنه إبراهيم عليه السلام، فعَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ قَالَ:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من قعد حيث ينتهي به المجلس ١/ ١٥٦(٦٦)، ومسلم في كتاب: السلام، باب: من أتى مجلسا فوجد فرجة فجلس فيها وإلا وراءهم ٣/ ١٧١٣ (٢١٧٦).

كَسَفَتْ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ النَّاسُ: كَسَفَتْ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ فَصَلُّوا وَادْعُوا الله»**(١).

فاستغل النبي ﷺ هذه المناسبة ليعلق على اعتقاد بعض الناس أن الآيات الكونية ومنها الشمس والقمر تتأثران بحياة العظماء والصلحاء أو موتهم؛ ليصحح هذه العقيدة الخاطئة، وفي حديث جابر ﷺ أشار ﷺ إلى أن هذا الاعتقاد الخاطئ كان اعتقادَ أهل الجاهلية، فقال ﷺ: «...**وَإِنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَخْسِفَانِ إِلَّا لِمَوْتِ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ الله يُرِيكُمُوهُمَا، فَإِذَا خَسَفَا فَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِيَ**»(٢)

كما استغلها ﷺ ليبين ما الذي يجب على العاقل إذا رأى مثل

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الكسوف، باب: الصلاة في كسوف الشمس ٢/ ٥٢٦ (١٠٤٣)، ومسلم في كتاب: الكسوف، باب: ذكر النداء بصلاة الكسوف: الصلاة جامعة ٢/ ٦٣٠ (٩١٥)

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الكسوف، باب: ما عُرِضَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ مِنْ أَمْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ٢/ ٦٢٢ (٩٠٤).

هـذه الآيـات الكونيـة مـن الفـزع إلى الله بالصـلاة والـدعاء، وقـد مارس ذلك فعليا، حين أعلمهم أن الشمس لم تنكسف لموت ابنه إبراهيم وإن صادف كسوفها يوم موته، بل قام ﷺ أمامهم يجر رداءه ويصلي حتى انجلى الكسوف، فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ نُفَيْعِ بْنِ الحَارِثِ ﷺ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فَانْكَسَفَتْ الشَّمْسُ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ يَجُرُّ رِدَاءَهُ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلْنَا فَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْنِ حَتَّى انْجَلَتْ الشَّمْسُ، فَقَالَ ﷺ : «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَصَلُّوا وَادْعُوا حَتَّى يُكْشَفَ مَا بِكُمْ**»(١). زاد في رواية: وَذَاكَ أَنَّ ابْنًا لِلنَّبِيِّ ﷺ مَاتَ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ النَّاسُ فِي ذَاكَ(٢).

بل إنه استغل هذا الكسوف والتذكير بالآية الإلهية العظيمة فيه ليعظ الناس ويدعوهم إلى فعل الخيرات، ويخوِّفهم من معصية الله صاحب هذه الآية القادر على كل شيء، الذي يخوف عباده بمثل هذه الآيات، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: خَسَفَتْ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ، فَصَلَّى رَسُولُ الله ﷺ بِالنَّاسِ، فَقَامَ

---

(١) أخرجه البخاري في الموضع السابق (١٠٤٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الكسوف، باب: الصلاة في كسوف القمر ٢/ ٥٤٧ (١٠٦٣).

فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ، ثُمَّ قَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ، ثُمَّ فَعَلَ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْأُولَى، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ انْجَلَتْ الشَّمْسُ، فَخَطَبَ النَّاسَ فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ الله، لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا الله وَكَبِّرُوا وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا» ثُمَّ قَالَ: «يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَالله مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ الله أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَالله لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»[1].

وفي أحاديث أخر ذكر ﷺ مواعظ كثيرة مناسبة لهذه الآية، وفيها تعليق نافع لتأكيد معنى كريم أو تصحيح مفهوم خاطئ، بحيث ناسب كلامه وتذكيره وتعليمه مقتضى الحال، وحقق المقصود منه من تربية وتوجيه.

ومثل هذا الاعتقاد الخاطئ اعتقادُهم بأن الشُّهُب التي تظهر في السماء إنما تظهر عند ميلاد أو موت رجل عظيم، فأعلمهم ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الكسوف، باب: الصدقة في الكسوف ٢/ ٥٢٩ (١٠٤٤)، ومسلم في كتاب: الكسوف، باب: صلاة الكسوف ٢/ ٦١٨ (٩٠١).

حقيقة الأمر، وكشف لهم عن هذا الخطأ، فعن عَبْدَ الله بْنَ عبَّاسٍ ﷺ قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ الْأَنْصَارِ أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ الله ﷺ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا» قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ: وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَإِنَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ، قَالَ: فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ، فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ وَيُرْمَوْنَ بِهِ. فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ(أي يخلطون فيه الكذب) وَيَزِيدُونَ»[١].

فاستغل النبي ﷺ ظهور هذا الشهاب الذي رآه الصحابة ﷺ ليصحح المفاهيم الخاطئة والاعتقادات الباطلة في هذا الأمر.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: السلام، باب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان٤/ ١٧٥١ (٢٢٢٩).

**ج- انتهاز بعض الوقائع لبيان وتعليم معان مناسبة:**

من ذلك أيضا: أنه كان ﷺ ربما تحدث أمامه أحداث معينة، فينتهز مشابهة ما يرى لمعني معين يريد تعليمه للصحابة، ومشاكلته لتوجيهٍ مناسبٍ يريد بثَّه لأصحابه ﷺ، وعندئذٍ يكون هذا المعني وذلك التوجيه أوضح ما يكون في نفوسهم، ويسهل حفظه وضبطه، وذكره كلما حدث مثل ذلك.

من ذلك ما رواه عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ قال: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ(يعني أسرى)، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنْ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي(في رواية: تَسْعَى)، إِذْ وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «**أَتَرَوْنَ** (يعني أتظنون) **هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟**» قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ. فَقَالَ: «**للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**»[1].

فانتهز ﷺ المناسبة القائمة بين يديه مع أصحابه، المشهودَ فيها حنان الأم الفاقدة على رضيعها إذْ وجدتْه، وضرب بها المشاكلة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الإكراه، باب: رَحْمَةِ الْوَلَدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ ١٠/ ٤٢٦(٥٩٩٩)، ومسلم في كتاب: التوبة، باب: فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ ٤/ ٢١٠٩ (٢٧٥٤).

والمشابهة برحمة الله تعالى؛ ليعرّف الناس رحمة رب الناس بعباده(١).

ومن أبدع ما جاء عنه ﷺ في ذلك: ما جاء في ربطه بين أكل لحوم الناس بالغيبة، والإفطار من الصيام؛ تعليقا على الصائمتين اللتين جلستا تغتابان الناس، وذلك فيما رواه أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَصُومُوا يَوْمًا، وَلا يُفْطِرَنَّ أَحَدٌ حَتَّى آذَنَ لَهُ، فَصَامَ النَّاسُ، فَلَمَّا أَمْسَوْا جَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَيَقُولُ: ظَلَتُ مُنْذُ الْيَوْم صَائِمًا، فَأْذَنْ لِي، فَلأُفْطِرْ، فَيَأْذَنُ لَهُ، وَيَجِيءُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ ذَلِكَ فَيَأْذَنُ لَهُ، حَتَّى جَاءَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ فَتَاتَيْنِ مِنْ أَهْلِكَ ظَلَّتَا مُنْذُ الْيَوْم صَائِمَتَيْنِ، فَأْذَنْ لَهُمَا فَلْيُفْطِرَا، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«مَا صَامَتَا، وَكَيْفَ صَامَ مَنْ ظَلَّ يَأْكُلُ لُحومَ النَّاسِ؟ اذْهَبْ فَمُرْهُمَا إِنْ كَانَتَا صَائِمَتَيْنِ أَنْ يَسْتَقِيئَا»** فَفَعَلَتَا، فَقَاءَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَقَةً (يعني قطعة من اللحم كالعلقة)، فَأُتِيَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«لَوْ مَاتَتَا وَهُمَا فِيهِمَا لأَكَلَتْهُمَا النَّارُ»** (١).

---

(١) الرسول المعلم ﷺ لأبي غدة صـ ١٦.

(١) أخرجه الطيالسي ٣/ ٥٧٧ (٢٢٢١)، ومداره على يزيد بن أبان الرقاشي، وهو ضعيف، لكن يشهد له حديث عبيد أو سعد مولى رسول الله ﷺ الآتي بعده.

وروى عُبَيْدٌ مولى رسول الله ﷺ هذه القصة، وفي آخرها أنه ﷺ قال: «**إِنَّ هَاتَيْنِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ الله لهما، وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ الله عَلَيْهِمَا، جَلَسَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرَى، فَجَعَلَتَا تَأْكُلَانِ لُحُومَ النَّاسِ**»(١).

**د- انتهاز خلوته ﷺ ببعض أصحابه ليعلّمهم ما يلزمهم:**

إذْ خلوة المعلِّم بالمتعلِّم فرصةٌ لأن يُلقِي في وعيه ما يحتاجه من العلم، ويبث إليه ما يلزمه من صنوف التربية والتوجيه، كما فعل مع ابن عباس رضي الله عنهما وهو غلام حين أردفه خلفه وعلَّمه صورة عملية من صور العقيدة الصحيحة، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظْ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظْ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ الله، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٦٥٣)، وغيره، وهو مع ما قبله يُقَوِّي أحدُهما الآخر، والله أعلم.

(٢) أخرجه الترمذي-وقال: حسن صحيح-في آخر كتاب: القيامة ٤/ ٥٧٥ (٢٥١٦).

فقد استغل النبي ﷺ خلوته بابن عباس ﵁ ذلك الغلام النجيب صاحب القلب العقول؛ ليعلمه العقيدة الصحيحة، ويبث في نفسه الإيمان الصحيح الذي يربط صاحبه بالله في كل شيء.

وكذلك كان الصحابة ﵃ يستغلون خلوة رسول الله ﷺ والأوقات التي لا يكون فيها مرهقاً مثقلاً ليسألوه ويطلبوا منه العلم، فيجيبهم ﷺ إلى طلبهم، كما فعل ابن مسعود ﵁ الذي قال: أَقْبَلْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ عَلَى نَشَزٍ (مكان مرتفع) مِنَ الْأَرْضِ، حَتَّى جَلَسْتُ مُسْتَقْبِلَ وَجْهِهِ، أَوْ وَجْهِي عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ، فَاغْتَنَمْتُ خَلْوَةَ رَسُولِ الله ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَيُّ الذُّنُوبِ أَكْبَرُ؟ فَأَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى قُلْتُهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»(١).

**هـ - استغلال ما ظهر لبعض الناس من حقائق تؤكد صدق حقائق الإسلام وما جاء به النبي ﷺ:**

فمن ذلك: ما جاء في حديث فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ أُخْتَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ ﵁ وَكَانَتْ مِنْ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلِ، في قصة تميم الداري حين جاء مسلما، وحكى للنبي ﷺ ما رآه من عجائب في

---

(١) أخرجه البزار (كشف الأستار) ١/ ٩٤ (١٦١) وهو ضعيف، لكن أصله في الصحيح.

إحدى جزر البحر، أكدت صدق النبي ﷺ فيما أخبر به الناس، فجمع النبي ﷺ الناس ليسمعوا ما قال تميم مما يوافق ما أخبرهم ﷺ به، فقالت رضي الله عنها:... فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ الله ﷺ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ: «لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ» ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟» قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «إِنِّي وَالله مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمْ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا (أي التجأوا) إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبْ السَّفِينَةِ (أي قواربها الصغيرة) فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ. قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ. قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا (يعني خفنا) مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا (أي أكبر جثة أو أشدها عيبا خِلقيا) وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ

رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ، رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ (أي هاج موجه) فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا فَدَخَلْنَا الْجُزِيرَةَ فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ. قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ؛ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً. فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ (إحدى قرى الشام) قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ. قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ. قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ (بلدة في الجانب القبلي من الشام) قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ. قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ

بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنْ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ. قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ. وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي: إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ (يعني الدجال) وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ، فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ (وهي المدينة) فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا (أي مسلولا) يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا».

قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: «هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ» يَعْنِي الْمَدِينَةَ «أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ.

«فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنْ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا، بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ» وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ (يعني لتأكيد إثبات أن هذه الجزيرة في جهة المشرق) قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ[1].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَاب: قِصَّةِ الْجَسَّاسَةِ ٤/ ٢٢٦١ (٢٩٤٢).

وهكذا ترى كيف أن تميما لما جاء مسلما وروى هذه العجيبة التي لم يكن سمع بها من قبل، ولم يكن سمع النبيَّ ﷺ وهو يحدث بها، وجاءت موافقة لما أخبر النبي ﷺ به أصحابه ؛ جمع النبي ﷺ الناس؛ ليسمعوا القصة، وليشهدوا أنه ﷺ كان أخبرهم بذلك، فيزدادوا إيمانا إلى إيمانهم، ويقينا على يقينهم.

وهو أشبه بما يكشفه العلم الحديث من أمور سبق القرآنُ وسبق النبيُّ ﷺ إلى الحديث عنها بوضوح في وقت لم تكن معلومةً فيه لأحد من الخلق ولا اطلعوا عليها، مما يؤكد صدق الرسالة والرسول، وهو ما اصطلح على تسميته (الإعجاز العلمي في القرآن والسنة).

**و- تفسير بعض الظواهر الكونية الغريبة الغامضة عند حصولها بما لا يمكن للطالب معرفته بنفسه:**

فمن ذلك: ما جاء عن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً (أي صوت سقوط لشيء لم يَرَوْه) فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا». وفي رواية: «هَذَا وَقَعَ فِي أَسْفَلِهَا فَسَمِعْتُمْ وَجْبَتَهَا»(١).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها، بَاب: في شدة حر نار جهنم ٤/ ٢١٨٤ (٢٨٤٤).

فهذا الصوت الشديد الذي لم ير الناس له أثراً ولا يدرون له سببا أعلم لله نبيَّه ﷺ أنه صوت حجر قُذف به في جهنم فاستغرقت رحلته من شفيرها إلى قعرها سبعين سنة، وكان جبريلُ عليه السلامُ قد فسّره لرسول الله ﷺ بذلك، فأسمعهم اللهُ هذا الصوتَ وفسّره لهم النبيُّ ﷺ كما فسّره له جبريل عليه السلام، فعن أبي سعيد الخدريﷺ قال: إِنَّا يَوْماً عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فَرَأَيْنَاهُ كَئِيباً، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَا رَسُولَ الله، بِأَبِي وَأُمِّي وَمَالِي أَرَاكَ هَكَذَا؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«سَمِعْتُ هَدَّةً لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهَا، فَأَتَانِي جِبْرِيلُ فَسَأَلْتُهُ عَنْهَا، فَقَالَ: هَذَا صَخْرٌ قُذِفَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفاً، فَالْيَوْمَ اسْتَقَرَّ قَرَارُهُ»**.

فقال أبو سعيد: وَالَّذِي ذَهَبَ بِنَفْسِ نَبِيِّنَا ﷺ مَا رَأَيْتُهُ ضَاحِكًا بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ حَتَّى وَارَاهُ التُّرَابُ[١].

فكان سماع هذا الصوت العجيب الشديد فرصة ليكشف لهم النبي ﷺ عن حقيقته، ويبين لهم عِظَم جهنم وبُعْد قعرها؛ حتى

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٣/ ١٦٢ (١٥٩٦٦)، وعزا الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٨٩ نحوه للطبراني في الأوسط، وقال: فيه إسماعيل بن قيس الأنصاري وهو ضعيف.

يكونوا على حذر من كل ما يؤدي إلى القرب منها أو الوقوع فيها، أعاذنا الله جميعا من ذلك.

**٩ - معلم حريص على استيعاب تلاميذه للعلم:**

كان المعلم الأعظم ﷺ أحرص الناس على تقديم رسالته إلى الناس بأيسر السبل إلى أفهامهم، وأسرعها إلى عقولهم، وأشدها تمكينا في قلوبهم، بحيث يستوعبها الصغير والكبير والمفكر والعامي، وصاحب الثقافة والخبرات الواسعة وصاحب الخبرة المتواضعة من المتعلمين، ولذلك أخرج الله على يديه من عرب الصحراء سادة العلماء، ومن رعاة الغنم قادة الأمم، وكان -من حرصه الشريف ﷺ على استيعابهم لما يعلمهم إياه- يستخدم وسائل عديدة تحقق ذلك بيسر وسهولة ومن غير تكلف ولا عنت، ومن هذه الوسائل ما يلي:

**أ - الاختصار في الكلام:**

فقد آتاه الله جوامع الكلم، ويسَّر له سبيل الاختصار ببلاغة عجيبة، فكان يعبر عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي**».

قَالَ الزهري: وَبَلَغَنِي أَنَّ جَوَامِعَ الْكَلِمِ: أَنَّ الله يَجْمَعُ الْأُمُورَ الْكَثِيرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُكْتَبُ فِي الْكُتُبِ قَبْلَهُ فِي الْأَمْرِ الْوَاحِدِ وَالْأَمْرَيْنِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ[(١)].

وذلك مما امتنَّ الله به على نبيه ﷺ وفضَّله به حتى على عموم أنبياء الله ورسله عليهم جميعا صلوات الله وسلامه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**»[(٢)].

وقد كانت معظمُ أحاديثه ﷺ معدودةَ الكلمات بشكل واضح، وكان تلاميذُه يعرفون ذلك منه، وأنه يختصر لهم الكلام اختصاراً؛ ليسهل عليهم حفظُه ووعيُه، حتى قالت عَائِشَةَ رضي الله عنها: إِنْ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ لَيُحَدِّثُ الْحَدِيثَ لَوْ شَاءَ الْعَادُّ أَنْ يُحْصِيَهُ أَحْصَاهُ[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التعبير، باب: المفاتيح في اليد ١٢/ ٤٠١ (٧٠١٣)، ومسلم في كِتَاب: الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ ١/ ٣٧١(٥٢٣).

(٢) أخرجه مسلم في كِتَاب: الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ ١/ ٣٧١(٥٢٣).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب: العلم، باب: في سرد الحديث ٣/ ٣٢٠ (٣٦٥٤).

ومن أمثلته: قوله ﷺ: «**النَّدَمُ تَوْبَةٌ**» (١) وقوله ﷺ: «**الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ**» (٢). والثابت عنه من هذا اللون من الاختصار كثير جدا.

وهذا النمط من الاختصار يجعل المتعلم لا يَفْتُر نشاطُه الذهنيُّ عن المتابعة، ويُبقِي النفوس في حالة ترقُّب وتحفُّز وشوق لما يُلقَى عليها.

والناظر في الأحاديث النبوية يرى بوضوح أن معظمها كان في دائرة السطر والسطرين أو الأسطر القليلة، بل حتى خطبه ﷺ وكتبه إلى الأفراد والقبائل لا تتجاوز بضعة أسطر، والطويل منها لا يجاوز صحيفة عادية أو صحيفتين على الأكثر، وأما التطويل فكان يحصل منه غالبا في مجالس خاصة، كما في حديث أم زَرْع الطويل الذي قصد به ﷺ مباسطةَ نسائه ومفاكهتَهن.

---

(١) الحديث عن عبد الله بن مسعود ، أخرجه ابن ماجه في كتاب: الزهد، باب ذكر التوبة ٢/ ١٤٢٠ (٤٢٥٢)، وصححه ابن حبان ٢/ ٣٧٧(٦١٢-٦١٤).

(٢) الحديث عن النعمان بن بشير أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ١/ ٤٣(١٥)، وأخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده ٤/ ٢٧٨ (١٨٤٤٩،١٨٤٥٠)، والبزار ٢/ ٢٢٦(٣٢٨٢) ضمن حديث أطول، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ٢١٨ بعد أن عزاه لهما وللطبراني: "ورجالهم ثقات".

وقد جمع الإمام الطبراني الأحاديثَ الطوالَ في جزء ملحق بالمعجم الكبير فبلغ مجموع ما ذكره اثنين وستين حديثا.

**ب - التأني في الكلام والفصل بين الكلمات:**

كان ﷺ يتأنَّى في تعليمه ولا يستعجل في سرْد كلامه، بل يفصل بين كل كلمة وأخرى، حتى يسهل على سامعيه الحفظ، ولا يقع التحريف والتغيير عند النقل، وبلغ من حرص النبي ﷺ على ذلك أنه كان يَسْهُل على السامع أن يَعُدَّ كلماتِه ﷺ كما سبق.

بل كان ﷺ ربما سكت مدة بين الكلمة وأختها، أو بين العبارة وأختها، بحيث يُبقِي المتعلمَ متحفِّزاً مستعداً للكلمة أو العبارة التالية، مثلما جاء عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺقَالَ: خطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟**» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «**أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟**» قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «**أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟**» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: «**أَلَيْسَ ذُو الْحُجَّةِ؟**» قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «**أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟**» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «**أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الْحَرَامِ؟**» قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ**

**رَبَّكُمْ. أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «اللهمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»** (١).

ولذلك عابت عائشة رضي الله عنها استعجال أبي هريرة ﷺ في سرد الأحاديث والإكثار منها في المجلس الواحد، مما يجعل بعض الناس لا يتمكن من الحفظ وراءه، وذلك فيما رواه عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «أَلَا يُعْجِبُكَ أَبُو هُرَيْرَةَ! جَاءَ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِ حُجْرَتِي يُحَدِّثُ عَنْ النَّبِيِّ ^ يُسْمِعُنِي ذَلِكَ، وَكُنْتُ أُسَبِّحُ(يعني أصلي نافلة الضحى)، فَقَامَ قَبْلَ أَنْ أَقْضِيَ سُبْحَتِي، وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ، إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ» (٢).

وفي رواية: «مَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَذَا، وَلَكِنَّهُ

---

(١) أخرجه **البخاري** في كتاب: الحج، باب: الخطبة أيام منى ٣/ ٥٧٣ (١٧٢٩)، **ومسلم** في كِتَابِ الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ، بَابُ: تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الدِّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ٣/ ١٣٠٥(١٦٧٩).

(٢) أخرجه **البخاري** في كتاب: المناقب، باب: صفة النبي ﷺ ٦/ ٥٦٧ (٣٥٦٨)، **ومسلم** - واللفظ له- في كتاب: فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي ﷺ٤/ ١٩٤٠(٢٤٩٣).

كَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ بَيْنَهُ فَصْلٌ(في رواية: بَيِّنٍ فَصْلٍ)، يَحْفَظُهُ مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ »[١].

فأبو هريرة ﷺ يريد إسماع عائشة رضي الله عنها لتتقوى روايتُه بإقرارها، وفي إحدى روايات مسلم[٢] أنه ﷺ كان يقول لها: «اسْمَعِي يَا رَبَّةَ الْحُجْرَةِ، اسْمَعِي يَا رَبَّةَ الْحُجْرَةِ».

وعائشة رضي الله عنها لم تنكر عليه شيئا من رواياته، وإنما **عابت استعجالَه في الإلقاء، وإكثارَه من الروايات في المجلس الواحد،** لما في ذلك من مخالفته منهج النبي ﷺ في التأني وفصل **بعض الكلام من بعض.**

**فمعنى قولها:** «وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ»: أي لأنكرتُ عليه **طريقته،** وبينتُ له أن الترتيل في التحديث أوْلى من السَّرْد، لأنَّ **النبيَّ ﷺ** لم يكن يتابع الحديثَ استعجالاً بعضَه إثر بعض؛ لئلا **يلتبس** على المستمع، إنما كان حديثُه ﷺ فصلاً، تفهمه القلوب. **واعتُذر** عن أبي هريرة ﷺ بأنه كان واسعَ الرواية كثيرَ المحفوظ، فكان لا يتمكن من المَهل عند إرادة التحديث، كما قال بعض

---

(١) أخرجه الترمذي وحسَّنه في كتاب: المناقب، باب: في كلام النبي ﷺ ٥/ ٦٠٠ (٣٦٣٩).

(٢) في كتاب: الزهد، باب: التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم ٤/ ٢٢٩٨ (٢٤٩٣).

البلغاء: أريد أن أقتصر، فتتزاحم القوافي على في [١].

**ج - تكرير الحديث وإعادته:**

فذلك أسهل في حفظه، وأعْوَنُ على فهمه، وأدعى لاستيعابه ووَعْيِ معانيه، ولذلك حرص النبي ﷺ على تكرير الحديث في غالب أحيانه:

فعَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا؛ حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا [٢].

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الباهلي ﷺ أَنّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ ثَلاثًا؛ لِكَيْ يُفْهَمَ عَنْه [٣].

والأمثلة في ذلك كثيرة جداً، وهي أكثر من أن تُحْصى؛ فإن تعبير أنس وأبي أمامة ﷺ بقولهما: «كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ» يفيد أن ذلك

---

(١) انظر: فتح الباري ٦/ ٥٧٨ - ٥٧٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه ١/ ١٨٨ (٨٤، ٩٥).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٨/ ٣٤٢ (٨٠٩٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٢٩: "إسناده حسن"، وأخرجه أبو بكر الشافعي في الغيلانيات ١/ ٥٤٥ (٣٤١) بسند رجاله ثقات.

كان عادةً غالبةً في كلامه ﷺ.

وقد مَثَّل الإمامُ البخاري رحمه الله[1] لذلك بقوله ﷺ: «**ألا وقول الزور**» فما زال يكررها، وبقوله ﷺ: «**هل بلغتُ؟**» ثلاثا، وبقوله ﷺ: «**ويلٌ للأعقاب من النار**» مرتين أو ثلاثاً.

ويُلاحَظُ من التعليل الوارد في حديثيْ أنس وأبي أمامة أن المقصود كان هو التفهيم لأصحابه رضوان الله عليهم، وإعانتهم على عقل الحديث وحفظه، فإذا تحقَّق هذا المقصود من غير تكرير فلا بأس بعدم التكرير.

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: «وذلك عندهم كان ليَفْهَم عنه كلُّ مَنْ جالسه من قريب وبعيد، وهكذا يجب أن يكرر المحدِّثُ الحديثَ حتى يُفهم عنه، وأما إذا فُهِم عنه فلا وجه للتكرير»[2].

وربما دعت الحاجةُ رسول الله ﷺ إلى تحفيظهم بعضَ النصوص المهمَّة، فيكررها أكثر من ثلاث مرات، حتى يطمئنَّ إلى

(١) في كتاب: العلم، باب: من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه ١/ ١٨٨.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥٥٧.

حفظهم إياها، كنصوص بعض الأدعية والتشهد ونحو ذلك.

فعن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ كَمَا تُعَلَّمُ الْكِتَابَةُ (أي كما يعلم المعلمُ الأولاد في الكُتَّاب): «**اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ** (يعني آخره في حال الكبر والعجز والخرف)، **وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ**» (١).

وعن ابن عمر ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُعَلِّمُ النَّاسَ التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُ الْمُكْتِب (أي المعلم في الكُتَّاب) الْغِلْمَانَ(٢).

ومن ثَم تأسَّى به الصحابة ﷺ في تعليمهم مَنْ وراءهم مِن أولادهم وتلامذتهم، فكان سعد ﷺ يفعل ذلك مع بنيه، فيعلّمهم هذه الكلمات كما يعلِّم المعلّمُ الغلمانَ الكتابة(٣).

وعن الأسود بن يزيد النَّخَعي قال: كَانَ عَبْدُ الله (يعني ابن مسعود) يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَيَأْخُذُ عَلَيْنَا

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الدعوات، باب: التعوذ من فتنة الدنيا ١١/ ١٩٢ (٦٣٩٠)

(٢) أخرجه الخطيب في كتاب "الفقيه والمتفقه" ٢/ ١٢٤.

(٣) روى ذلك عنه عمرو بن ميمون الأودي، وأخرجه البخاري في كتاب: الجهاد والسير، باب: ما يتعوذ من الجبن ٦/ ٣٥ (٢٨٢٢).

فِي الْأَلِفِ وَالْوَاو[(١)].

كما كان يوصون تلامذتهم بذلك، فعن عبد الله بن عمر ﷺقال: إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَرْوِيَ حَدِيثاً فَلْيُرَدِّدْهُ ثَلَاثاً[(٢)].

وهذا المنهج التربوي الكريم الذي طبقه النبي ﷺ، ووعاه أصحابه الأكرمون، يبعث على الاطمئنان إلى دقة ما نقلوا عنه وتمام ضبطهم له، ويكشف إلى أي مدى كان حرصه ﷺ على استيعاب تلاميذه ما يلقيه عليهم من العلم.

**د- إجابة السائل بأزيد من سؤاله أحياناً:**

وذلك استثماراً لحالة التفتح الذهني، والإقبال العقلي والنفسي من السائل؛ إذ يكون قبوله لكل ما يتعلق بسؤاله وما يتصل به أمراً واقعياً، وذلك أدعى للضبط والحفظ والتجويد.

من ذلك: ما رواه ابْنُ عُمَرَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ: مَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ؟ فَقَالَ: «**لَا يَلْبَسُ الْقَمِيصَ وَلَا الْعِمَامَةَ وَلَا السَّرَاوِيلَ وَلَا الْبُرْنُسَ** (الثوب الذي رأسه منه ملتزق به) **وَلَا ثَوْبًا مَسَّهُ**

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف،كتاب: الصلاة، باب: من كان يعلم التشهد ويأمر بتعليمه ١/ ٢٩٤.

(٢) أخرجه الدارمي في المقدمة، باب: مذاكرة العلم ١/ ١٥٦- ١٥٧ (٦٠٩) بإسناد حسن.

**الْوَرْسُ أَوْ الزَّعْفَرَانُ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ النَّعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسْ الْخُفَّيْنِ وَلْيَقْطَعْهُمَا حَتَّى يَكُونَا تَحْتَ الْكَعْبَيْنِ»** (١).

فقد سأل الرجلُ النبيَّ ﷺ عما يلبسه المحرم، فأجابه بما يحرم لبسه، ليستفيد حِلَّ ما عدا المذكور، خصوصا وأن ما يحل لبسه كثير لا ينحصر، أما الذي ينحصر فهو ما لا يحل لبسه، ثم زاد حكم من لم يجد نعلين؛ لتعلقه بالموضوع.

ومن ذلك ما رواه أبو هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّا نَرْكَبُ الْبَحْرَ وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنْ الْمَاءِ، فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا، أَفَنَتَوَضَّأُ بِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ»** (٢).

فقد سأل الرجل عن حكم التوضؤ بماء البحر، فأجابه بطهارة ماء البحر، وزاد على ذلك بيان حل ميتته أكلاً وانتفاعا، لأن راكب

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من أجاب السائل بأكثر مما سأله ١/ ٢٣١ (١٣٤)، وفي مواضع أخرى)، ومسلم في كتاب: الحج، باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة وما لا يباح ٢/ ٨٣٤ (١١٧٧).

(٢) أخرجه مالك في كتاب: الطهارة، باب: الطهور للوضوء ١/ ٢٢ (١٢) بإسناد صحيح، ومن طريقه: أبو داود في كتاب: الطهارة، باب: الوضوء بماء البحر ١/ ٢١ (٨٣).

البحر في حاجة إلى معرفة هذا الحكم؛ لاضطراره إليه أحيانا.

**هـ - التدرجُ في التعليم ومراعاة تقديم الأهم فالمهم:**

لا شك أن ترتيب الأولويات، وبراعة الاستهلال، وحسن التدرُّج في التعليم، وتقديم الأهم فالمهم، من أهم أسباب النجاح، وهذا هو منهج القرآن الحكيم في نقل الناس من الظلمات إلى النور، وهو ما أشارت إليه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في قولها: إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ (أي القرآن) سُورَةٌ مِنْ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ؛ لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لَا تَزْنُوا؛ لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا. لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ **﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾** وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ[1].

وقد تأثر النبيُّ ﷺ هذا المنهجَ القرآنيَّ الحكيمَ، ولذلك حرص ﷺ على التدرج مع أصحابه ﷺ وهو ينقلهم من ضلالات الجاهلية إلى حقائق الإسلام، فإذا جاءه مسلمٌ حديثُ عهد بالإسلام علَّمه الفرائض قبل النوافل، والواجبات قبل المستحبات، كما حصل مع

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن ٩/ ٣٩(٤٩٩٣).

الأعرابي الذي جاء يسأله عن شرائع الإسلام، فعَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله ﷺ قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ وَلَا يُفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنْ الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ**» فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «**لَا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ**» قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَصِيَامُ رَمَضَانَ**». قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: «**لَا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ**» قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ الزَّكَاةَ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «**لَا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ**» قَالَ: فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَالله لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ. قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**»

وفي رواية أنه قَالَ: وَالَّذِي أَكْرَمَكَ لَا أَتَطَوَّعُ شَيْئًا، وَلَا أَنْقُصُ مِمَّا فَرَضَ الله عَلَيَّ شَيْئًا. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ، أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ إِنْ صَدَقَ**»(١)

كما حرص ﷺ عند توجيه رسله ومبعوثيه للأقطار المختلفة على تعليمهم مراعاة ذلك، ورسم لهم خطة التعليم السليمة المناسبة لحال من بُعثوا إليهم، كما فعل مع معاذ بن جبل حين أرسله إلى أهل اليمن،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: الزكاة من الإسلام ١/ ١٠٦(٤٦)وفي مواضع أخرى، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام ١/ ٤٠ (١١).

فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا ﷺ إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: «ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنِّي رَسُولُ الله، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ» (١).

وفي رواية: قَالَ ﷺ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ الله، فَإِذَا عَرَفُوا الله فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الله قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الله فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»(٢).

زاد في رواية: «واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله حِجَابٌ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة ٣/ ٢٦١ (١٣٩٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة ٣/ ٣٢٢ (١٤٥٨)، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ١/ ٥٠-٥١ (١٩).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا ٣/ ٣٥٧ (١٤٩٦)، ومسلم في الموضع السابق (١٩).

**و- تشجيع أصحابه ﷺ على مراجعته فيما أشكل عليهم حتى يتبين لهم:**

فمع كمال هيبتهم لرسول الله ﷺ وشدة تعظيمهم له؛ فإنه كان يشجعهم على السؤال والاستيضاح، و لم يكونوا يترددون في مراجعته ﷺ لاستيضاح ما أشكل عليهم فهمه، ولم يكن ﷺ يتردد في تفهيمهم ما أشكل عليهم، حتى يسهل حفظه، وكانت هذه المراجعة أعون على الضبط، وأحسن تهيئةً لتمام الوعي والفهم.

عن عَبْدِ الله بْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ**» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: أَوَلَيْسَ يَقُولُ الله تَعَالَى **﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾** (الانشقاق:٨) قَالَتْ: فَقَالَ: «**إِنَّمَا ذَلِكِ** (يعني الحساب المذكور في الآية) **الْعَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكْ**»(١).

وعَنْ حَفْصَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا يَدْخُلَ النَّارَ أَحَدٌ إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ**»

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من سمع شيئا فراجع فيه حتى يعرفه ١/ ١٩٦-١٩٧ (١٠٣)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في كتاب: الجنة، باب: إثبات الحساب ٤/ (٢٨٧٦).

قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَلَيْسَ قَدْ قَالَ الله ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (مريم:٧١) قَالَ: «أَلَمْ تَسْمَعِيهِ يَقُولُ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (مريم:٧٢)»(١)

ومن ذلك حديث عبد الله بن أُنَيس ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ -أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ- عُرَاةً غُرْلًا(يعني غير مختونين) بُهْمًا» قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ: «لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ» قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ، وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي الله عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا. قَالَ: «بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ»(٢).

فأنت ترى كيف استفهم الصحابة عما خفي عليهم واستوضحوا ما أشكل عليهم فهمه، وهذا يدل ما كان عندهم من

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب: الزهد، باب: ذكر البعث ٢/ ١٤٣١ (٤٢٨١) بسند صحيح.

(٢) أخرجه أحمد(١٦٠٤٢) بسند حسن، والبخاري في الأدب المفرد، باب: المعانقة، ص ٢٨٧ -٢٨٨ (٩٧٠)، وصححه الحاكم ٢/ ٤٣٧، ٤/ ٥٧٤ ووافقه الذهبي.

الحرص على تفُهم معاني الحديث، وأن النبي ﷺ لم يكن يتضجر من المراجعة في العلم، ولا ريب أن هذه المراجعة والمناقشة كان لها أثر كبير في الوعي والحفظ.

ولذلك كانوا يحثون تلامذتهم على عدم التهيُّب منهم أو التردد في سؤالهم، متى علموا أنَّ عند مَنْ يسألونه علماً عما يسألونه عنه، فعن سعيد بن المسيب، قال: قلت لسعد بن مالك (ابن أبي وقاص ﷺ): إني أريد أن أسألك عن شيء، وإني أهابك. قال: لا تَهَبْنِي يا ابنَ أخي، إذا علمتَ أن عندي علماً فسَلْني عنه. قال: قلت: قول رسول الله ﷺ لعليّ في غزوة تبوك حين خلفه؟ فقال سعد: قال رسول الله ﷺ: «**يَا عَلِيُّ، أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى**»[1].

وإذا كان التابعون يتهيَّبون أن يسألوا الصحابة إجلالاً واحتراماً؛ فإن الصحابة ﷺ كانوا يترفقون بهم ولا يمتنعون من

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/ ٤٥٧ (٧١٨)، وفي سنده ضعف، لكن المرفوع صحيح، أخرجه البخاري في كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب علي بن أبي طالب ﷺ ٧/ ٧١(٣٧٠٦)، ومسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ٤/ ١٨٧٠ (٢٤٠٤.

إجابتهم على أي سؤال، ولو كان في أمر شخصي، كما حصل من عبد الله بن رافع الذي سأل أبا هريرة رضي الله عنه: لِمَ كُنِّيتَ أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: أَمَا تَفْرَقُ مِنِّي؟ (أي تخاف من سؤالي عن هذا الأمر الشخصي) قُلْتُ: بَلَى وَالله إِنِّي لَأَهَابُكَ. قَالَ رضي الله عنه: كُنْتُ أَرْعَى غَنَمَ أَهْلِي، فَكَانَتْ لِي هُرَيْرَةٌ صَغِيرَةٌ، فَكُنْتُ أَضَعُهَا بِاللَّيْلِ فِي شَجَرَةٍ، فَإِذَا كَانَ النَّهَارُ ذَهَبْتُ بِهَا مَعِي، فَلَعِبْتُ بِهَا، فَكَنَّوْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ[١].

**١٠ – معلم مدرب متابع:**

كان المعلم الأكرم والنبي الأعظم ﷺ يدرك أن الرسالة العظيمة التي بُعث بها وكُلِّف بتبليغها للعالمين لا يمكن أن تصل للناس كافة كما أمره الله إلا بأن يحملها معه ومن بعده رجالٌ ونساءٌ آمنوا بها، واعتزوا بالانتساب إليها، وأيقنوا بأن الجهادَ في سبيل نشرها هو أعظمُ الأعمال وأزكاها، وقد نجح ﷺ غاية النجاح في صناعة جيلٍ كريمٍ على مستوى حمل هذه الرسالة، ربَّاهم على عينه، وعلَّمهم بنفسه، ونفخ فيهم من روحه، وأهَّلهم لأن يقودوا الدنيا معه ومن بعده، وأن يعلِّموا البشرية كلَّها طرائق الخير وحقائق

---

(١) أخرجه الترمذي -و حسنه - في كتاب: المناقب، باب: مناقب لأبي هريرة رضي الله عنه ٥/ ٦٤٤ (٣٨٤٠).

الإسلام، وكان لا بد أن يُدَرِّبَهم على حسن التعليم وأن يتابع قيامهم بهذه المهمة ويختبر كفاءتهم في أدائها، حتى إذا ما ندبهم للقيام بها كان مطمئنا إلى سلامة العمل.

وهذا ما يسميه المعاصرون بالتدريب والمتابعة لتنمية وتطوير أداء العاملين في أمرٍ ما، وقد سبق النبي ﷺ إلى كل ذلك.

ويمكننا أن نلخص قيامه ﷺ بعملية التدريب والمتابعة في النقاط التالية:

**أ- تدريب الصحابة على الحفظ بين يديه:**

وذلك للتأكد من حفظ الصحابي للعلم وضبطه للرواية وقدرته على النقل السليم، فمن ذلك ما رواه البراء بن عازب ما رواه البراء بن عازب ﷺ قَالَ قَالَ النبي ﷺ: «**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلِ: اللهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِى إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِى إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِى إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ، اللهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِى أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِى أَرْسَلْتَ. فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ**». قَالَ فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النبي ﷺ فَلَمَّا بَلَغْتُ «**اللهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِى أَنْزَلْت**». قُلْتُ: وَرَسُولِكَ.

قَالَ: «لاَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِى أَرْسَلْتَ». وفي رواية: فقلتُ أستذكرهن على النبيﷺ، وفي رواية: فرددتهن لأستذكرهن.[١]

فأنت ترى في هذا الحديث كيف أن البراء ﷺ قام بترديد الحديث، وعرضه على النبي ﷺ، لتأكيد حفظه وضبطه، فصحح له النبي ﷺ اللفظة التي لم يضبطها. وهكذا كان النبي ﷺ يراجع طلابه، ويتابع حفظهم.

**ب- تدريب الصحابة على مذاكرة العلم فيما بينهم:**

**مذاكرة العلم تعني**: أن يجلس الطلاب فيراجعوا ما تعلموه فيما بينهم حفظا وفهما ومدارسة؛ حتى يطمئنوا إلى تمام فهمهم لما حملوه من العلم واستيعابهم لما أُلقي عليهم من المعاني، وهذه المذاكرة هي تدريبٌ - مليٌّ للمعلمين الذين سيقومون بأداء الرسالة؛ ولذلك كان النبي ﷺ حريصا على تشجيع الصحابة على هذا الأمر مع تحذيره إياهم من الكذب أو التحريف والتبديل.

فمن ذلك: ما رواه رافع بن خَدِيج ﷺ قال: مرَّ علينا رسول الله

---

(١)أخرجه **البخاري** في كتاب: الوضوء، باب: فضل من بات على وضوء ١/ ٣٥٧ (٢٤٧)، وفي كتاب: الدعوات، باب: إذا بات طاهرا ١١/ ١٠٩ (٦٣١١)، ومسلم في كتاب: الذكر والدعاء، باب: مايقول عند النوم وأخذ المضجع ٤/ ٢٠٨١ (٢٧١٠/ ٥٦).

ﷺ ونحن نتحدث (أي نتذاكر الحديث)، فقال: «مَا تَحَدَّثُونَ؟» فقلنا: نَتَحَدَّثُ. فقال: «تَحَدَّثُوا، وَلْيَتَبَوَّأْ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(١).

ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا سمعوا شيئا من النبي ﷺ وحملوا عنه علما، جلسوا فتذاكروه فيما بينهم، وتراجعوه على ألسنتهم، تأكيداً لحفظه، وتقويةً لاستيعابه وضبطه.

فعن أنس بن مالك ﷺ قال: «كُنَّا نَكُونُ عِنْدَ النَّبِي ﷺ، فَنَسْمَعُ مِنْهُ الحَدِيثَ، فَإِذَا قُمْنَا تَذَاكَرْنَاهُ فِيمَا بَيْنَنَا حَتَّى نَحْفَظَهُ»(٢).

وفي رواية: «كُنَّا قُعُوداً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ -فَعَسَى أَنْ يَكُونَ قَالَ: سِتِّينَ رَجُلاً- فَيُحَدِّثُنَا الحَدِيثَ، ثُمَّ يَدْخُلُ، فَنَتَرَاجَعُهُ بَيْنَنَا، هَذَا ثُمَّ هَذَا، فَنَقُومُ كَأَنَّمَا زُرِعَ فِي قُلُوبِنَا»(٣).

ولك أن تتخيل مثل هذا المجلس الذي يتذاكر فيه هذا العدد حديثَ النبي ﷺ ويقومون كأنما زُرع الحديث في قلوبهم من كثرة

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ٢/ ١١٥٠ (٢٢٦٨) معلقا، وحديث التحذير من الكذب صحيح متواتر، رواه أكثر من سبعين صحابيا.
(٢) أخرجه الخطيب في الجامع ١/ ٣٦٣ - ٣٦٤ (٤٦٦)، وفيه يزيد الرقاشي، وهو ضعيف.
(٣) أخرجه أبو يعلى الموصلي ٧/ ١٣١ (٤٠٩١)، وقال الهيثمي في المجمع ١/ ١٦١: "فيه يزيد الرقاشي، وهو ضعيف"، وأخرجه الخطيب في "الفقيه والمتفقه" ٢/ ١٢٧.

**ما رددوه وتفهموا** معانيه، ليتأكد لك كيف كانت هذه المذاكرة من أكبر أسباب الحفظ والضبط.

وقد بقي مبدأ المذاكرة قائما بين الصحابة، حتى بعد وفاته ﷺ، فعن أبي نَضْرَةَ المنذر بن مالك بن قُطَعَة رحمه الله قال: «كان أصحابُ رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا تذاكروا العلم، وقرؤوا سُوَرَه»(١).

وعن إبراهيم النخعي رحمه الله قال: «كانوا (يعني الصحابة) يجلسون ويتذاكرون العلم والخير، ثم يتفرقون، لا يستغفر بعضُهم لبعض، ولا يقول: يا فلان، ادْعُ لي»(٢).

وقد كانت المذاكرةُ بابا من أبواب تحمُّل الصحابة للسّنة، فيسمعُ أحدهم في مجلس المذاكرة ما غاب عنه سماعُه من النبي ﷺ:

فمن ذلك ما رواه أبو وائل شَقِيقُ بن سلمة قَالَ: سَمِعْتُ حُذَيْفَةَ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُمَرَ رضي الله عنه فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ الله ﷺ فِى الْفِتْنَةِ؟ قُلْتُ: أَنَا أحفظ كَمَا قَالَهُ ﷺ. قَالَ: إِنَّكَ عَلَيْهِ -أَوْ عَلَيْهَا- لَجَرِيءٌ. قُلْتُ: «**فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِى أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ وَالصَّوْمُ وَالصَّدَقَةُ وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ**». قَالَ:

---

(١) أخرجه الخطيب في الجامع ٢/ ٨٦ (١٢٢٩)، والسمعاني في أدب الإملاء والاستملاء ص٤٨.

(٢) أخرجه أبو خيثمة زهير بن حرب بإسناد صحيح في كتاب العلم ص ٣٦ (١٥٩).

لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ، وَلَكِنِ الْفِتْنَةُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ الْبَحْرُ. قَالَ: لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا بَأْسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا. قَالَ: أَيُكْسَرُ أَمْ يُفْتَحُ؟ قَالَ: يُكْسَرُ!. قَالَ: إِذًا لاَ يُغْلَقَ أَبَدًا!. قُلْنَا: أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ الْبَابَ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمَا أَنَّ دُونَ الْغَدِ اللَّيْلَةَ (أي كان عمر يعلم يقينا أنه هو الباب)، إِنِّي حَدَّثْتُهُ بِحَدِيثٍ لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ.

فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ! فَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: الْبَابُ عُمَرُ(١).

ومن ذلك: ما روى أبو محمد البَجَلِيّ، قال: « التقى عليُّ بنُ أبي طالب وكعبُ الأحبار، فقال كعبٌ: يا عليُّ، أسمعتَ رسولَ الله ﷺ يقول في المنجِّيات؟ قال: ولكن سمعتُه يقول في الموبقات (المُهلكات). فقال كعبٌ لعلي: حدِّثْني بالموبقات حتى أحدثك بالمنجيات. فقال علي ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المُوبِقَاتُ: تَرْكُ السُّنَةِ، ونَكْثُ (أي نقض) الْبَيْعَةِ، وَفِرَاقُ الجَمَاعَةِ». فقال كعبٌ لعلي: «المَنَجِّيَاتُ: كَفُّ لِسَانِكَ، وَجُلُوسٌ فِي بَيْتِكَ، وَبُكَاؤُكَ عَلَي خَطِيئَتِكَ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: مواقيت الصلاة، باب: الصلاة كفارة ٢/ ٨ (٥٢٥)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في. كتاب: الفتن، باب: في الفتنة التي تموج كموج البحر ٢/ ٢٢١٨ (١٤٤/ ٢٦-٢٧)، والترمذي في كتاب الفتن ٤/ ٤٥٤- ٤٥٥ (٢٢٥٨).

(٢) أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل ص٥٩٢ (٨٤٥).

ومن ذَلك: ما رواه ابن عباس ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا غُلَامُ هَلْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ أَوْ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِذَا شَكَّ الرَّجُلُ فِي صَلَاتِهِ مَاذَا يَصْنَعُ؟ -زاد في رواية عند الذهبي في السير: فقلت: لا، والله، أَوَمَا سَمِعْتَ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ فِي ذَلِكَ شَيْئًا؟ فَقَالَ: لَا وَالله- قَالَ: فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَقَالَ: فِيمَ أَنْتُمَا؟ فَقَالَ عُمَرُ: سَأَلْتُ هَذَا الْغُلَامَ، هَلْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ أَوْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، إِذَا شَكَّ الرَّجُلُ فِي صَلَاتِهِ مَاذَا يَصْنَعُ؟! فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلَمْ يَدْرِ أَوَاحِدَةً صَلَّى أَمْ ثِنْتَيْنِ فَلْيَجْعَلْهَا وَاحِدَةً، وَإِذَا لَمْ يَدْرِ ثِنْتَيْنِ صَلَّى أَمْ ثَلَاثاً فَلْيَجْعَلْهَا ثِنْتَيْنِ، وَإِذَا لَمْ يَدْرِ أَثَلَاثاً صَلَّى أَمْ أَرْبَعاً فَلْيَجْعَلْهَا ثَلَاثاً، ثُمَّ يَسْجُدْ إِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ وَهُوَ جَالِسٌ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ سَجْدَتَيْنِ**»(١).

وهكذا كانت المدارسة والمذاكرة للحديث سببا من أسباب تحمُّل الصحابة بعضهم عن بعض، رضي الله عنهم أجمعين.

ومن ثَمَّ كان الصحابة ﷺ حريصين على هذا الأمر، داعين إليه، موجِّهين طلابَ العلم إلى القيام به:

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٥٦)، والذهبي في سير أعلام النبلاء ١/ ٧١ - ٧٢ وقال: "هذا حديث حسن".

فعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: « تَذَاكَرُوا هَذَا الحَدِيثَ وَتَزَاوَرُوا، فَإِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا يَدْرُسْ »[١](أي يضيع الحديث).

وروى مثل ذلك عن ابن مسعود، وابن عباس، وأبي سعيد الخدري[٢]، وفَضَالة بن عُبيد[٣] ﷺ أجمعين، وذلك لما في المدارسة والمذاكرة من حفظ العلم وإحيائه، واكتساب الجديد منه، وغير ذلك من الفوائد المهمة.

**ج- تدريبهم على حسن السؤال، وإحسان الإجابة:**

حسنُ السؤال نصفُ العلم، والعلمُ خزائنُ مفاتيحُها السؤالُ؛ لذلك حرص النبيُّ ﷺ على تدريبِ أصحابه على حُسن السؤال، كما شجَّعهم على إحسان الإجابة، واتخذ ذلك التشجيع صوراً متعددةً، فمن ذلك:

- **مطالبة السائل بإعادة السؤال الحسن:** وذلك تعليماً لأصحابه، وتوجيهاً لهم إلى إحسان السؤال، ولفتًا لأنظارهم إلى

---

(١) أخرجه الدارمي في المقدمة، باب: مذاكرة العلم ١/ ١٥٨ (٦٢٦)، وابن أبي شيبة ٨/ ٥٤٥ (٦١٨٥)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/ ٤٢٢ (٦٢٣، ٦٢٤) و ٤٤٣ (٦٨٧)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجها جميعا الدارمي في الموضع السابق ١/ ١٥٥، وابن عبد البر في جامع بيان العلم في الموضع السابق بأسانيد صحيحة.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ١٨/ ٢٩٩ (٧٦٧)، وقال الهيثمي في المجمع ١/ ١٦١: "رجاله موثقون".

أهمية المسؤول عنه، وضرورة وعيه وحفظه، مثل الذي رواه أبو أيوب الأنصارى رضي الله عنه، أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِرَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ فِى سَفَرٍ. فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ أَوْ بِزِمَامِهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ الله - أَوْ يَا مُحَمَّدُ- أَخْبِرْنِى بِمَا يُقَرِّبُنِى مِنَ الْجَنَّةِ وَمَا يُبَاعِدُنِى مِنَ النَّارِ. قَالَ: فَكَفَّ النبي ﷺ، ثُمَّ نَظَرَ فِى أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**لَقَدْ وُفِّقَ - أَوْ لَقَدْ هُدِيَ** - قَالَ ﷺ (يعني للأعرابي): **كَيْفَ قُلْتَ؟**» (يعني يطلب منه أن يعيد السؤال). قَالَ: فَأَعَادَ. فَقَالَ النبي ﷺ: «**تَعْبُدُ الله لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِى الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ، دَعِ النَّاقَةَ**»[١].

فأنت ترى كيف أعجب السؤالُ رسولَ الله ﷺ، فلفت نظرَ أصحابه إليه، واستعاد السائلَ إيَّاه، ليستقرَّ في أذهان الحاضرين، ويرسخ في ذاكرتهم، ويحفظه الجميع.

- **ومن ذلك التدريب على السؤال بقصد العلم والعمل؛ لا للعبث واللعب:** فكان ﷺ يدربهم على أن تكون أسئلتهم مشفوعة بهذا القصد، وكانوا يفعلون ذلك؛ لما علموا من كراهة النبي ﷺ للمسائل العبثية التي لا يُحتاج إليها، ولما سمعوا من كثرة تحذيره ﷺ

---

(١) أخرجه **البخاري** في كتاب الزكاة، باب: وجوب الزكاة ٣/ ٢٦١ (١٣٩٦)، **ومسلم** في كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة ١/ ٤٢-٤٣(١٣).

من كثرة السؤال، فعن الحجاج بن عامر الثمالي – وكان من أصحاب رسول الله ﷺ – أن رسول الله ﷺ قال: «**إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ**»[١].

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: «كَرِهَ رسولُ الله ﷺ المسائلَ وعَابَها»[٢].

والمقصودُ بالمسائل التي عابها النبي ﷺ وكرهها: المسائلُ التي لا يُحتاج إليها، لا سيما ما كان فيه هتكُ ستر مسلم، أو إشاعةُ فاحشة أو شناعة على مسلم أو مسلمة. أما إذا كانت المسائل مما يُحتاج إليه في أمور الدين، وقد وقعت، أو يُتَوَقَّع حصولُها؛ فلا كراهة فيها.

ولذلك كان ﷺ يعجبه أسئلة بعض الصحابة المجيدين في أسئلتهم، كأبي رَزِين العُقَيلي لَقِيط بن صَبِرة رضي الله عنه الذي قال: كان رسول الله ﷺ يكره المسائلَ ويعيبُها، فإذا سأله أبو رزين أجابه وأعجبه ذلك[٣].

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في الجامع بيان العلم، ٢/ ١٠٥٩ (٢٠٤٦) بإسناد حسن.

(٢) أخرجه أبو خيثمة زهير بن حرب بإسناد صحيح في كتاب "العلم" ص٢٠ (٧٧)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ٢/ ١٠٥٨ (٢٠٤٣ - ٢٠٤٤)، وهو جزء من الحديث في قصة اللعان، أخرجه البخاري في كتاب: الطلاق، باب: من جوز الطلاق الثلاث ٩/ ٣٦١(٥٢٥٩)، ومسلم في كتاب. اللعان ٢/ ١١٢٩(١٤٩٢).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ١٩/ ٢٠٨- ٢٠٩ (٤٧٢)، وعزاه الهيثمي في المجمع ١/ ١٦٠

ولذلك كان سؤالهم إياه ﷺ سؤالاً عمليّا، فيسألون عما يلزمهم مما وقع ومما يتوقعون حصوله بالفعل، خوفا من التصرف الخاطئ إذا وقع.

فمن سؤالهم عما هو حاصل وواقع: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً أَتَى النبي ﷺ -وَكَانَ رَجُلاً جَمِيلاً- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي رَجُلٌ حُبِّبَ إِلَيَّ الْجَمَالُ وَأُعْطِيتُ مِنْهُ مَا تَرَى، حَتَّى مَا أُحِبُّ أَنْ يَفُوقَنِي أَحَدٌ -إِمَّا قَالَ: بِشِرَاكِ نَعْلِي. وَإِمَّا قَالَ: بِشِسْعِ نَعْلِي (الشِّراك والشِّسْع: هو السير الذي في النعل) أَفَمِنَ الْكِبْرِ ذَلِكَ؟! قَالَ: «**لاَ وَلَكِنَّ الْكِبْرَ مَنْ بَطَرَ الْحَقَّ** (أي تكبر عن قبوله) **وَغَمَطَ** (أي احتقر) **النَّاسَ**»(١).

ومن سؤالهم عما يتوقعون حصوله مما يلزمهم معرفته: ما رواه المقداد بن الأسود رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلاً مِنَ الْكُفَّارِ فَاقْتَتَلْنَا، فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا، ثُمَّ لاَذَ(يعني احتمى) مِنِّي بِشَجَرَةٍ فَقَالَ أَسْلَمْتُ للهِ! أَأَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللهِ بَعْدَ أَنْ قَالَهَا؟! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ تَقْتُلْهُ**». فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ قَطَعَ إِحْدَى يَدَيَّ!، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ مَا قَطَعَهَا!. فَقَالَ

---

إليه في الأوسط أيضا، وقال: "إسناده حسن".

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: اللباس، باب: ما جاء في الكبر ٩/ ٥٤ (٤٠٩٢)، وصححه ابن حبان ١٢/ ٢٨١ (٥٤٦٧).

رَسُولُ الله ﷺ: «لاَ تَقْتُلْهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ»(١).

تلك هي الأسئلة المشروعة، أما الأسئلة التي لا فائدة منها، أو الافتراضات التي يبعد حصولها، فإنها تجرُّ إلى التهاون بالأحكام الشرعية، وغالباً ما تقترن بها نيَّةُ المغالبة، وطلبُ العلوّ والمباهاة، وصرفُ وجوه الناس، ويترتب عليها حصولُ الفتن، والاشتغالُ بصورة العلم عن العمل، وهو ما لا يليق بمن يقوم بتعليم الناس أو يتأهل للقيام بهذا الدور؛ ومن ثم نهى النبي ﷺ الصحابة عن هذا اللون من الأسئلة الافتراضية، فانتهوا رضي الله عنهم.

فعن وهبة بن عمرو الجُمَحي مرسلاً عن النبي ﷺ قال: «لاَ تَعْجَلُوا بِالْبَلِيَّةِ قَبْلَ نُزُولِهَا، فَإِنَّكُمْ إِنْ لاَ تَعْجَلُوهَا قَبْلَ نُزُولِهَا لاَ يَنْفَكُّ الْمُسْلِمُونَ وَفِيهِمْ -إِذَا هِيَ نَزَلَتْ- مَنْ إِذَا قَالَ وُفِّقَ وَسُدِّدَ، وَإِنَّكُمْ إِنْ تَعْجَلُوهَا تَخْتَلِفْ بِكُمُ الأَهْوَاءُ فَتَأْخُذُوا هَكَذَا وَهَكَذَا». وَأَشَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ.(٢)

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: حدثني خليفة ٧/ ٣٢١ (٤٠١٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب. تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله ١/ ٩٥-٩٦ (٩٥).

(٢) أخرجه الدارمي في المقدمة، باب: التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة ١/ ٦١ (١١٤٦)، وقد أخرجه الطبراني في الكبير ٢٠/ ١٦٧ (٣٥٣) عن معاذ مرفوعا، لكن بسند ضعيف، كما أخرجه

**- ومن ذلك: التدريب على ترك التنطُّع والمغالاة، وعدم السؤال عن المتشابه:**

وقد كان ﷺ يحذرهم من ذلك أشد التحذير، وبلغ من تشديده على المغالين والمتنطعين أنه نهى عن مجالستهم:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: تَلاَ رَسُولُ الله ﷺ هَذِهِ الآيَةَ ﴿**هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿**أُولُو الأَلْبَابِ**﴾ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ، فَاحْذَرُوهُمْ**»(١).

وكذلك كان كبار الصحابة يفعلون اتباعاً لرسول الله ﷺ:

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: وَالَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ مَا رَأَيْتُ أَحَداً كَانَ أَشَدَّ عَلَى الْمُتَنَطِّعِينَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَداً كَانَ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، وَإِنِّي لأَرَى عُمَرَ كَانَ أَشَدَّ خَوْفاً

---

الدارمي عن معاذ موقوفا في باب. .. هاب الفُتيا وكره التنطع ١/ ١٦٨ (١٥٣).

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، سورة آل عمران، باب: منه آيات محكمات ٨/ ٢٠٩ (٤٥٤٧)، ومسلم في كتاب: العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن ٤/ ٢٠٥٣ (٢٦٦٥/ ١).

عَلَيْهِمْ أَوْ لَهُمْ[١].

لذلك امتنع الصحابة ﷺ عن التنطُّع في الأسئلة أو السؤال عن المتشابهات.

**- ومن ذلك: التدريب على ترك السؤال عما سكت عنه الشارع:**

وذلك حتى لا يؤدي السؤال عن ذلك إلى إيجاب ما لم يوجبه الشرع، أو تحريم ما لم يحرمه، فيكون السؤال قد أفضى إلى التضييق على المسلمين، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللهُ عَنْهَا وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ. قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ**﴾ (المائدة: ١٠١ -١٠٢)

وقد حذَّرهم الرسول ﷺ من مثل ذلك أشد التحذير:

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ**»[٢].

---

(١) أخرجه الدارمي في المقدمة، باب. من هاب الفتيا وكره التنطع ١/ ٦٥ (١٣٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه ١٣/ ٢٦٤ (٧٢٨٩)، ومسلم في كتاب: الفضائل، باب. توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أولا يعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك ٤/ ١٨٣١(٢٣٥٨).

وقد تابع النبي ﷺ أصحابَه بصورة عملية في تطبيق هذا الأمر، كما فعل ﷺ حين سأله أحدهم عن الحج، أفي كل عام هو؟ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا**». فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟! فَسَكَتَ، حَتَّى قَالَهَا ثَلاَثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ** » ثُمَّ قَالَ: «**ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ**»(١).

وذلك هو ما التزم به الصحابة رضوان الله عليهم، فلم يتكلَّفوا السؤال عما سكت عنه الشارع الحكيم.

- **ومن ذلك: حثهم على ترك السؤال عن العُضَل والأغلوطات** (أي المسائل التي يُقصد منها تغليط العالم):

إذ السؤال عن هذه الأشياء لا يُقْصَد به العلم والعمل، بل التعنّت والسخرية والاستهزاء، والإيقاع في الخطأ، ولهذا نهى النبي ﷺ عنها:

فعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: «نَهَى رسولُ الله ﷺ عن

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الحج، باب: فرض الحج مرة في العمر ٢/ ٩٧٥(١٣٣٧).

الغَلُوطاتِ. وفي روايةٍ: الأُغْلُوطات»(١).

وفسرها الأوزاعي في بعض الروايات بأنها «صعاب المسائل وشدادها»(٢)، وفسَّرها عيسى بن يونس بأنها «ما لا يُحتاج إليه من كيف وكيف؟»(٣)

وقال الخطَّابي: «هي المسألة التي يَعيَا بها المسؤول، فيغلط فيها، كره ﷺ أن يُعترض بها العلماء، فيُغالَطوا، ليُستَزَلُّوا ويُسْتَسْقَط رأيُهم فيها»(٤).

وقد كان الصحابة ﷺ أجلَّ من أن يقعوا في ذلك، لكن النبي ﷺ نهاهم من باب التعليم والتوجيه لهم وللأمة من ورائهم.

**د- دعوتهم للرواية والتبليغ عنه ﷺ:**

فقد كان ﷺ يدربهم ويدعوهم ليقوموا بنقل العلم عنه إلى مَنْ لم يحضر مجالسهم، وللأمة من ورائهم، فعن أبي بكرة نُفَيْع بن الحارث ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الغَائِبَ**» (٥)

---

(١) أخرجه **أبو داود** في كتاب: العلم، باب: التوقي في الفتيا ٣/ ٣٢١ (٣٦٥٦)، و**أحمد** (٢٣٦٨٨).

(٢) أخرج هذا التفسير **أحمد** (٢٣٦٨٧).

(٣) أخرج هذا التفسير عنه **الآجُرّي** في أخلاق العلماء ص ١١٦.

(٤) غريب الحديث للخطابي ١/ ٣٥٤، وانظر: النهاية لابن الأثير ٣/ ٣٧٨

(٥) جزء من حديث، أخرجه **البخاري** في كتاب: العلم، باب: قول النبي ﷺ "رب مبلغ أوعى من سامع"، ١/ ١٥٨ (٦٧)، وباب: ليبلغ العلم الشاهد الغائب ١/ ١٩٩ (١٠٥)، و**مسلم** في

وعن عبد الله بن عمرو ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**بَلِّغُوا عَنِّى وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَىَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»(١).

كما كان ﷺ يشجعهم على تحصيل نضرة الوجه التي دعا بها ﷺ لمن بلغ عنه حديثا، فعن زيد بن ثابت ﵁ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ**»(٢)

وكان ﷺ يحذرهم من الاندراج تحت الوعيد الذي توعَّد الشارعُ الحكيمُ به كاتمَ العلم في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ. إِلاَّ الَذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ (البقرة: ١٥٩-١٦٠)، ويقول لهم كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄:

---

كتاب: القسامة، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ٣/ ١٣٠٥ (١٦٧٩).

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل ٦/ ٤٩٦ (٣٤٦١).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب: العلم، باب: فضل نشر العلم ٣/ ٣٢٢ (٣٦٦٠)، والترمذي- وقال: حسن- في كتاب: العلم، باب: في الحث على تبليغ السماع ٥/ ٣٣ (٢٦٥٦).

«مَنْ كَتَمَ عِلمًا أَلْجَمَهُ اللهُ يومَ القيامةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»[١].

وقد كان هذا كله من النبي ﷺ تشجيعاً لهم على القيام بمهمة التعليم في حياته ومن بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وهو ما قام به الصحابة خير قيام.

**هـ- تدريبُهم على القيام بالتعليم المباشر ومتابعتهم في ذلك:**

فقد كان ﷺ يُرسل أصحابَه إلى القبائل المختلفة ؛ ليعلِّموهم الإسلام، كما كان يستقبل وفود تلك القبائل، ويقدمهم إلى أصحابه؛ ليعلموهم الإسلام، ويراجع مبعوثيه كما يراجع تلاميذهم؛ ليتأكد أن المعلم قد أدى الرسالة على النحو المرجو، وقد اتخذ ذلك صورا متعددة:

-فمن ذلك: **تثبيتُهم وتشجيعهم وتطمينهم والدعاء لهم بالتسديد في الرأي والنجاح في المهمة:**

كما حدث مع علي بن أبي طالب ؓ الذي قال: بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله تُرْسِلُنِي وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ وَلاَ عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ؟! فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ سَيَهْدِي قَلْبَكَ وَيُثَبِّتُ**

---

(١) أخرجه ابن المبارك في زوائد الزهد (٣٩٩)، وصححه ابن حبان- واللفظ له- ١/ ٢٩٨(٩٦)، والحاكم ١/ ١٠٢ على شرط الشيخين،وسكت عنه الذهبي.

**لِسَانَكَ، فَإِذَا جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْكَ الْخَصْمَانِ فَلاَ تَقْضِيَنَّ حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الآخَرِ كَمَا سَمِعْتَ مِنَ الأَوَّلِ؛ فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَكَ الْقَضَاءُ».**
قَالَ: فَمَا زِلْتُ قَاضِيًا، أَوْ مَا شَكَكْتُ فِي قَضَاءٍ بَعْدُ.(١)

-ومن ذلك: أنه ﷺ **كان يقوم باختبار كفاءة المبعوث والاطمئنان علي سلامة منهجه وجودة أدائه في التعليم**، عن طريق سؤاله وامتحانه ليكشف ذكاءه ومعرفته، فإن أصاب وأحسن أثنى عليه وشجَّعه، تقديراً له وتشجيعاً، كما حدث مع معاذ بن جبل ﷺ الذي قال: لما بعثني النبي ﷺ إلى اليمن قال: **«كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ»**. قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ الله. قَالَ: **«فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ الله»**. قَالَ فَبِسُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ . قَالَ: **«فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ وَلاَ فِي كِتَابِ الله»**. قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلاَ آلُو. فَضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ صَدْرَهُ وَقَالَ: **«الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ الله ﷺ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ الله ﷺ»**(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الأقضية، باب: كيف القضاء ٣/ ٣٠١ (٣٥٨٢)، وابن ماجه في كتاب. الأحكام، باب: ذكر القضاة ٢/ ٧٧٤ (٢٣١٠) وغيرهما من طرق ترفعه إلى الصحة.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب: الأقضية، باب: اجتهاد الرأي في القضاء ٣/ ٣٠٣ (٣٥٩٢، ٣٩٥٣)، والترمذي -وقال: ليس إسناده عندي بمتصل- في كتاب: الأحكام، باب: ما جاء في القاضي كيف يقضي ٤/ ٦١٦- ٦١٧ (١٣٢٧، ١٣٢٨)، وغيرهما، وقال ابن عبد البر

وقد كانت هذه البعوث رسلَ خيرٍ، ومناراتِ هداية، حملت الرسالةَ بأمانة، وأدَّتْها بغاية الضبط والإتقان، وتأكَّد النبي ﷺ أنهم أدَّوْا رسالتهم التعليمية صحيحة كاملة، كما في حديث ضمام بن ثعلبة وافد بني ثعلبة الذي وفد على رسول الله ﷺ يستفسر عن شرائع الإسلام التي تعلَّمها من أحد المبعوثين الذين أرسلهم النبيُّ ﷺ، ففي حديث أنس أن ضمامًا لما وفد على النبي ﷺ قال: يَا مُحَمَّدُ أَتَانَا رَسُولُكَ فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَكَ! قَالَ: «صَدَقَ». قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ قَالَ: «اللهُ». قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الأَرْضَ؟ قَالَ: «اللهُ». قَالَ: فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الجِبَالَ وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ؟ قَالَ: «اللهُ». قَالَ: فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَخَلَقَ الأَرْضَ وَنَصَبَ هَذِهِ الجِبَالَ، اللهُ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا! قَالَ: «صَدَقَ». قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، اللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةً فِي أَمْوَالِنَا! قَالَ: «صَدَقَ». قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ اللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي سَنَتِنَا! قَالَ: «صَدَقَ». قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ اللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ

---

في "جامع بيان العلم" ٢/ ٨٩٤: وحديث معاذ صحيح مشهور رواه الأئمة العدول.

عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً!قَالَ: «صَدَقَ». قَالَ: ثُمَّ وَلَّى. قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لاَ أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ وَلاَ أَنْقُصُ مِنْهُنَّ. فَقَالَ النبي ﷺ: «لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ»(١).

فهذا يبيِّن مدى الصدق والدقة والضبط في نقل الرسالة التي اتصف بها المعلمون الذين بعثهم النبي ﷺ إلى تلك الأنحاء.

- ومن ذلك: **توصية النبي ﷺ كلاً من المهاجرين والأنصار بالوافدين إلى المدينة وتعليمهم شرائع الإسلام:**

ذلك أن النبي ﷺ لم يكن يتسع وقته لتعليم كلِّ هؤلاء الوافدين كلَّ شرائع الإسلام، ومن ثَمَّ كان يعهد بهم إلى أصحابه الذين حفظوا عنه وتعلَّموا على يديه، ليكملوا هذه المهمة، ويضطلعوا بعبء التبليغ، ويتدرَّبوا على الدعوة والتعليم بين يديه ﷺ، ثم كان ﷺ يطمئن بنفسه على حسن تلقِّيهم، ويطلب من المتعلمين أن يعرضوا عليه ما تعلَّموه، ويشتد فرحه بنجاح أصحابه في حمل الرسالة وتبليغها، مثلما حدث مع وفد عبد القيس:

فعن شِهَابِ بْنِ عَبَّادٍ أَنَّهُ سَمِعَ بَعْضَ وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ وَهُمْ

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: السؤال عن أركان الإسلام ١/ ٤٢ (١٢).

يَقُولُونَ: قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَاشْتَدَّ فَرَحُهُمْ بِنَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى الْقَوْمِ أَوْسَعُوا لَنَا فَقَعَدْنَا، فَرَحَّبَ بِنَا النَّبِيُّ ﷺ وَدَعَا لَنَا ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «**مَنْ سَيِّدُكُمْ وَزَعِيمُكُمْ؟**». فَأَشَرْنَا بِأَجْمَعِنَا إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ عَائِذٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**أَهَذَا الأَشَجُّ؟**» ... إلى أن قال: ثُمَّ أَقْبَلَ (أي النبي ﷺ) عَلَى الأَنْصَارِ فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَكْرِمُوا إِخْوَانَكُمْ؛ فَإِنَّهُمْ أَشْبَاهُكُمْ فِي الإِسْلَامِ، أَشْبَهُ شَيْئاً بِكُمْ أَشْعَاراً وَأَبْشَاراً، أَسْلَمُوا طَائِعِينَ غَيْرَ مُكْرَهِينَ وَلَا مَوْتُورِينَ، إِذْ أَبَى قَوْمٌ أَنْ يُسْلِمُوا حَتَّى قُتِلُوا**». قَالَ: فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحُوا قَالَ ﷺ: «**كَيْفَ رَأَيْتُمْ كَرَامَةَ إِخْوَانِكُمْ لَكُمْ وَضِيَافَتَهُمْ إِيَّاكُمْ**». قَالُوا: خَيْرَ إِخْوَانٍ! أَلَانُوا فِرَاشَنَا، وَأَطَابُوا مَطْعَمَنَا، وَبَاتُوا وَأَصْبَحُوا يُعَلِّمُونَا كِتَابَ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَسُنَّةَ نَبِيِّنَا ﷺ؛ فَأَعْجَبَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَفَرِحَ بِهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَجُلاً رَجُلاً، فَعَرَضْنَا عَلَيْهِ مَا تَعَلَّمْنَا وَعَلِمْنَا، فَمِنَّا مَنْ عَلِمَ التَّحِيَّاتِ وَأُمَّ الْكِتَابِ وَالسُّورَةَ وَالسُّورَتَيْنِ وَالسُّنَنَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «**هَلْ مَعَكُمْ مِنْ أَزْوَادِكُمْ شَيْءٌ؟**». فَفَرِحَ الْقَوْمُ بِذَلِكَ، وَابْتَدَرُوا رِحَالَهُمْ... الحديث (١).

ومثلُ ذلك: ما رواه مالك بن الحُوَيْرِث ﷺ أنه قال: أَتَيْنَا

---

(١) أخرجه أحمد بسند صحيح (١٧٨٣١) و (١٥٥٥٩).

النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا فَقَالَ: «**ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**»(١).

وهكذا كان النبي ﷺ يُدرِّب أصحابه على القيام بمهمة التعليم، ويتابعهم في ذلك، ويختبر كفاءتهم، ويطمئن على نجاح مهمتهم، ويقيس مدى نجاحهم، وكان الصحابة رضوان الله عليهم على قدر المسئولية، وعلموا أنهم أئمة يُقتدَى بهم ويُؤْخَذ عنهم العلم، فراعَوْا ذلك في أعمالهم وأخلاقهم وسائر أحوالهم؛ ليكون حالُهم أسوةً لمن يعلمونهم:

فعن أسلم مولى عمر أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ رَأَى عَلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ﷺ ثَوْبًا مَصْبُوغًا وَهُوَ مُحْرِمٌ، فَقَالَ عُمَرُ: مَا هَذَا الثَّوْبُ الْمَصْبُوغُ يَا طَلْحَةُ؟ فَقَالَ طَلْحَةُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا هُوَ مَدَرٌ (أي أنه ثوب ضعيف كالطين المتماسك). فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّكُمْ أَيُّهَا الرَّهْطُ أَئِمَّةٌ يَقْتَدِي بِكُمُ النَّاسُ، فَلَوْ أَنَّ رَجُلاً جَاهِلاً رَأَى هَذَا الثَّوْبَ لَقَالَ: إِنَّ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأذان، باب: الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة ٢/ ١١١ (٦٣١)، ومواضع أخرى.

طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ الله كَانَ يَلْبَسُ الثِّيَابَ المُصَبَّغَةَ فِي الإِحْرَامِ!، فَلاَ تَلْبَسُوا أَيُّهَا الرَّهْطُ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الثِّيَابِ المُصَبَّغَةِ![(١)].

وعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: كَانَ أَبِي إِذَا صَلَّى فِي المَسْجِدِ تَجَوَّزَ (خفف في الصلاة) وَأَتَمَّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، وَإِذَا صَلَّى فِي البَيْتِ أَطَالَ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ وَالصَّلاةَ، قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ إِذَا صَلَّيْتَ فِي المَسْجِدِ جَوَّزْتَ، وَإِذَا خَلَوْتَ فِي البَيْتِ أَطَلْتَ، قَالَ: يَا بُنَيَّ، إِنَّنَا أَئِمَّةٌ يُقْتَدَى بِنَا[(٢)].

كما دَعَوْا مَنْ وراءهم من طلابهم إلى التشبه بهم:

فعن ابن عمر ﷺ قال: «من كان مُسْتَنًّا فليستنَّ بمن قد مات، أولئك أصحابُ محمد ﷺ، كانوا خيرَ هذه الأمة، أبرَّها قلوباً، وأعمَقَها علماً، وأقلَّها تكلفًا، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقلِ دِينِه، فتَشَبَّهوا بأخلاقهم وطرائقِهم، فهم أصحابُ محمد ﷺ، وكانوا على الهدى المستقيم»[(٣)].

وروي مثل ذلك عن عبد الله بن مسعود[(٤)].

---

(١) أخرجه **مالك** في كتاب: الحج، باب: لبس الثياب المصبغة في الاحرام ١/ ٣٢٥ - ٣٢٦ (٤).

(٢) أخرجه **الطبراني** في الكبير ١/ ١٤١ (٣١٧)، وقال الهيثمي في المجمع ١/ ١٨٢: "رجاله رجال الصحيح".

(٣) أخرجه **أبو نعيم** في الحلية ١/ ٣٠٥ - ٣٠٦. وذكره البغوي في شرح السنة ١/ ٢١٤.

(٤) أخرجه **ابن عبد البر** في جامع بيان العلم ٢/ ٩٤٧ (١٨١٠)، وهو وما قبله يقوي بعضهما بعضا.

## الفهرس